8me Année No. 358

Lundi - 13 - 5 - 1940

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٣٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ربيع آخر سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهــرس

صفحة		
٨٠١	رأى الرافعى فى الأستاذين طه والعقاد	أحمد حسن الزيات ... ...
٨٠٣	فى ذكرى الرافعى : طريقته فى تأليف كتبه	الأستاذ محمد سعيد العريان
٨٠٥	من مذكرات الأستاذ محمد كرد على	الأستاذ محمد كرد على ...
٨٠٧	خواطر يثيرها سائل ...	الأستاذ عبد المنعم خلاف ...
٨١١	الفقه الاسلامى ورعاية الصالح العام	الأستاذ محمد محمد المدنى . .
٨١٤	نشأة مراكز اللغة ...	الدكتور على عبد الواحد وافى
٨١٦	الأزهر والحياة العامة ...	الأستاذ محمود الشرقاوى ...
٨١٨	« من وراء المنظار » ...	« عين » ... ...
٨١٩	فى سبيل الأزهر	الأستاذ عبد العزيز محمد عيسى
٨٢٠	إذا شبت الحرب فى البحر الأبيض	الأستاذ فوزى الشتنوى ...
٨٢٣	مرافقة الزهر .. [قصيدة]	الأستاذ محمود حسن إسماعيل
٨٢٣	مع الماضى	« م . وهبه » ... ...
٨٢٤	« الأدب فى أسبوع » : نجوى الرافعى ــ ذكرى الرافعى ــ مصر المريضة ...	الأستاذ محمود محمد شاكر
٨٢٧	عندنا فنانون ... ولكن !	الأستاذ عزيز أحمد فهمى ...
٨٣٠	أركان الحرب محور الدفاع الوطنى	من مجلة « لموا الفرنسية » ...
٨٣١	ممتلكات انجلترا	من مجلة « العصبة البرازيلية »
٨٣٢	« وحى الرسالة »	الأستاذ عباس محمود العقاد
	مصر الحلوة — مصر المزدهرة	
٨٣٣	حول الأزهر	الأستاذ محمد عبد السلام القبانى
	تعقيب على مآخذ	الأديب عبد الستار أحمد فراج
٨٣٥	عاصفة القدر ... [قصة]	المرحوم مصطفى صادق الرافعى

رأى الرافــــعى
فى الأستاذين طه والعقاد

بمناسبة ذكراه الثالثة

ذكرتُ بذكرى الرافعى وعداً درجت الأيام عليه ولم أوفّ به[1] . ذلك أن أذكر لقراء الرسالة الرأى الصريح المجرد لصاحب (السفود) و (تحت راية القرآن) فى خصميه العظيمين طه والعقاد . وفى ظنى أن تسجيل هذا الرأى قد يصحح ما شاع فى أجواء الأدب من نقد مسه الهوى وحكم أفسدته الخصومة . فإن الرافعى رحمة الله عليه كان من أبصر الناس بِتَصرف الكلام وأقدرهم على نقده ؛ ولكن تعقبه للأدباء الأحياء قلما كان يبرأ من مجاملة الصداقة أو منافسة الحرفة . فإذا أردت استنباط رأيه الحر من غوره البعيد لا يتيسر لك ذلك منه إلا فى الخلوة حين يأمن الأذن الخصيمة والقلم المسجل

جلسنا معاً ذات يوم من أيام الإسكندرية على قهوة (أتينيوس) بعد غداء ضاحك هنيء على مائدة صديقنا المرحوم فليكس فارس . وكان الرافعى برد الله ضريحه شديد الحساسة بالجمال قوى الرغبة فى اللذة ؛ ولكنه كان يطلبها من طريق

(١) انظر العدد (٢٥٤)

الحال أو الحلال فتعييه . كان يتمنى أن يكون كأصحاب الجنة : يصبو من غير فجور وينتشى من غير إثم . فلما أعجزه الدرك أغلق فؤاده من دون نفسه ؛ ثم فتح للجمال عينيه وأطلق فى نعيمه لسانه ؛ فلا يدع معنى من معانى اللهو ولا لوناً من ألوان العيش إلا صرّف الكلام فيه وأدار الرأى عليه

* * *

كان حديث الرافعى على المقهى الأنيق الوادع أفانين من النكات والأفاكيه يدور أكثرها على سكرات الجمال فى الكرنيش ، وسطوات الشباب على الشاطئ ، وحسرات الحرمان فيما بين ذلك . ثم توافدت زمر المصطافين على المقهى ، فأخذ يتحفظ فى الحديث ويخافت به حتى رده مرغماً إلى الأدب ؛ فسألنى كيف أكتب ومتى أكتب وماذا أشرب حين أكتب . فلما أجبته أنى لا أفكر إلا أول الكتابة ، ولا أكتب إلا آخر الوقت ، ولا أدخن التبغ ولا أشرب القهوة ولا أكركر الشيشة ، عجب كيف توانى القريحة على هذه الحال الكليلة ، وذكر لى ما يتملق به قريحته من المطاعم والمشارب والمقاقير ، ثم روى لى الأعاجيب مما يُلقى عليه إلقاء فى النوم ، وما يلهمه إلهاماً فى اليقظة ، وعزا ذلك إلى قوة إلهية ترفده وتسنده . فقلت له ضاحكا : وهل تعتقد أن من إلهام هذه القوة تلك الفصول المقذعة التى كتبتها فى النقد ؟ فأجاب بلهجته الطفلية الحاسمة :

أما ما كتبته (على السفود) فأكثره رجس من عمل الشيطان ، وأما ما أدخلته (تحت راية القرآن) فكله إلهام من روح الله

فقلت له ، أو بالحرى كتبت ، لأن مناقلة الحديث كانت لصممه تحريرية منى وشفوية منه :

أتستطيع فى هذه المناسبة يا صاحب (تاريخ آداب العرب) أن تجرد نفسك من ملابسات الخصومة وتُجمل لى رأيك الخالص فى طه والعقاد ؟

فأجاب الرافعى وعلى محياه الوردى سيما المعترف المقر :

— أما لك فأقول الحق . وما دمت لا أكتبه فلا أبالى أن تنشره :

إن طه عجيب التكوين جليل المواهب . وهو مدين بنبوغه لتوقد ذهنه ودقة حسه وقوة ذاكرته ولباقة حديثه ومزايا عاهته . ولو أنه انتهى كما بدأ لكان اليوم أحد عباقرة الدنيا . ولكنه بلغ المنزلة المرجوة قبل الأوان لأسباب غير طبيعية ، فأعيى طبعه واطمأن إلى منصبه المضمون ومجده المكتسب

علمه علم الأديب يأخذ من كل شيء بطرف ، وأدبه أدب الصحفى تصرفه السرعة عن الإجادة ، وأسلوبه أسلوب الوادى المنحدر يشتد جريانه ويقل عمقه

ذهنه لمّاع الذكاء ولكنه لا ينفذ ، وقريحته واسعة الحيلة ولكنها لا تخلق . لذلك تجده مغسول الكلام لا أثر فيه لروعة الفن ولا لبراعة الفكرة . ولكنه قوى الشخصية جياش الحركة عذب السياق جميل العرض . وهو أشبه الناس بمهندس العرض فى بيوت التجارة ، يعرض البضائع فى البترينات منسقة على نظام يملك البصر ، ولكنها تظل بعد التنسيق كما كانت قبل التنسيق ملك غيره . وأحسبه إذا تنفس به العمر على هذه الحال يعود رجلاً له رأى مسموع فى التأديب ، ولكن ليس له أثر خالد فى الأدب . ويلوح لى أن طه تعوزه العقيدة التى تخلق المبدأ ، ومن هنا كان التناقض الظاهر فى كل ما يصدر عنه من قول أو فعل

أما العقاد فإنى أكرهه وأحترمه : أكرهه لأنه شديد الاعتداد بنفسه قليل الإنصاف لغيره . ولعله أعلم الناس بمكانى من الأدب ، ولكنه ينفس على قوة البيان فيتجاهلنى حتى لا أجرى معه فى عنان وأحترمه لأنه أديب قد استملك أداة الأدب ، وباحث قد استكمل عدة البحث . قصرَ عمره وجهده على القراءة والكتابة فلا ينفك بين كتاب وقلم . ومن آفة الذين يديمون النظر فى كلام الناس أنهم يفقدون استقلال الفكر وابتكار القريحة ، وليس كذلك العقاد ؛ فإن رأيه لقوة عقله وسلامة طبعه يظل متميزاً عن رأى الكتاب مهيمناً عليه ؛ يؤيده أو يفنده ، ولكنه لا يسمح له أن يذوب فيه أو يتأثر به

أسلوب العقاد أسلوب الأديب الحكيم ، تبرز فيه الفكرة الدقيقة فى مجتلى من الفن الرفيع ، فيجمع بقوة تفكيره ودقة تعبيره طرَفَى البلاغة . والعقاد مخلص لفنه فلا يخرج للناس ما لا يرضاه . فهو لذلك أبعد الأدباء عن استغلال شهرته واستخدام إمضائه

فقلت له وأنا أختم الورقة التى أحدثه عليها : هيهات يا صديقى أن يخلص رأيك من هواك . إن رأيك فى الأستاذ العقاد رجوع إلى الحق ، ولكن رأيك فى الدكتور طه إمعان فى الباطل !

احمد حسن الزيات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ذكرى الرافعي

طريقته في تأليف كتبه

للأستاذ محمد سعيد العريان

قلت عن طريقة الرافعي في تأليف مقالاته ما وسعني أن أعرفه بنفسي حين كنت أكتب له ؛ فقد أملى عليّ أكثر من مائة مقالة كنتُ شاهدَه فيها إذ يُلَـقَّى الوحيَ ، ويهذب الفكرة ، ويرتب المعاني ، ويتألـف الألفاظ ، حتى تنفصل عنه المقالة إلى نفس قارئها كما هي في نفسه[1]

وأحسب أن طريقته العامة في كل ما كتب من المقالات هي ما وصفْتُ عن عيان وملاحظة ، ولـكن لم يتهيأ لي أن أشهده حين يؤلف في موضوع من موضوعات العلم ، مما يقوم على التتبع والاستقراء ، وتقليب الصحائف ، وبعث الدفائن ، والارتفاق إلى الـكتب ، والاستعانة بمـا انتهى إليه السابقون من حقائق العلم ونتائج البحث والروية ، ثم التهدّي من ذلك إلى رأي ينتهي بمقدماته إلى نتيجة .

وطريقة الـكتابة غير طريقة التأليف ؛ أعني أن الطريقة لإعداد مقالة أو فصل أدبي من مثل « رسائل الأحزان » أو « السحاب الأحمر » أو « المساكين » — غيرُ الطريقة في إعداد كتاب مثل « تاريخ آداب العرب » ؛ فإن الشأن بين هذين مختلف باختلاف موضوعهما ؛ ذلك أن في كل نفس معانيها التي تعبِّر بهـا عن الحب والبغض والقطيعة وما إليها من خلجات الوجدان أو مدركات الحس ، بأسلوبها وعلى مقدارها ؛ فما يحتاج الأديب لتصويرها وإبرازها إلى شيء غير الأداة الطبيعية التي يؤديها بها إلى الناس كلاماً مقروءاً يصل نفساً بنفس وينقلها من خطرة قلب إلى إدراك حس . أما تأليف الـكتب العلمية فله سبيل غير هذه ، لأنه يقوم على الجمع والتفريق ، وعلى النقد والتصفح ، وعلى الاستقراء والملاحظة .

وأنا قد قرأت الجزء الأول من كتاب تاريخ آداب العرب منذ بضع عشرة سنة ، وألممت منه بما ألممت ، واهتديت به ما اهتديت ؛ ثم عدت إلى نفسي أسائلها : أين وأيان اجتمع لمؤلف هذا الكتاب

(١) حياة الرافعي ص ١٨٠ — ١٨٦

هذا القدْرُ من المعارف في شئون العرب والعربيـة فألّـف بين أشتاتها في هذا الكتاب ؟

وظل هذا السؤال قائماً في نفسي زمناً ، وما أزال من مطالعاتي في الأدب القديم أقع على شيء بعد شيء في صفحات متفرقة من كتب عدة يُنسي آخرها أولها من تباعد الزمان بينها ، وكلها مما اجتمع للرافعي في كتابه . وكان ذلك يزيدني عجباً وحيرة ؛ فإنه ليس من الطبيعي أن يعرف إنسان كل من يراه في طريقـه من الناس بحيث يتهيأ له أن ينسب بعضهم إلى بعض ويعرف القريب منهم والجنيب بما بينهم من تشابه في الخلقة ؛ ولقد يكون ممكناً أن يجلس أخَـوان بإزائي فأعرف ما بينهما من النسب بالمشابهة والفراسة ، ولكن هيهات أن أهتدي إلى ذلك لو رأيتهما متفرقين على تباعد الزمان وانقطاع الصلة . من مثل ذلك كان عجبي وحيرتي ... وهممت أن أسأل الرافعي مرة ، ولكني لم أفعل ؛ وهممت أن أعرف بنفسي فلم أبلغ ؛ ثم عزوت ذلك إلى ذاكرة الرافعي وسرعة حفظه ؛ وقلت : متفرقاتٌ قد عرفها في سنين متباعدة فوعتها حافظته ، فلما هم أن يؤلف كتابه أمدته الذاكرة بما وعت منها ، وكان مستحيلاً عليه أن يجمعها لو لم تجتمع له من ذات نفسها ، واطمأننت إلى هذا الاستنتاج ونسبتُ إليه عدم ذكر الرافعي للمراجع التي استعان بها في هـذا الكتاب ؛ لأنه يروي عن ذاكرته !

ثم قرأت له بحثه في (الرواية والرواة) ؛ فإذا هو يتحدث عن أثر الحفظ في مؤلفات العلماء وينادي بإحياء هذه السنة ، سنة حفظ العلم واستظهار كتبه[1] ؛ فتأكد لي ما رأيت ، وكان وهما من الوهم عرفت حقيقته فيما بعد ...

* * *

أما الحقيقة التي عرفتها بعد ، فما أزال في شك منها وإن كان برهانها ماثلاً لعيني ؛ ولكنه شك المتعجب الذي يفجأه ما لم يكن يتوقع ...

منذ بضعة أشهر وكل إلي القيام على تصحيح بعض مؤلفات الرافعي التي تطبعها الآن إحدى دور النشر الـكبرى في القاهرة ؛ فأخذت أهبتي للعمل ...

... وزرت المـكتبة التي خلفها صاحبها أوراقاً مركومة وكتباً تستند إلى الحيطان ؛ أريد بذلك أن أبحث فيها عما يكون

(١) تاريخ آداب العرب ج ١ ص ٣٢٢

ARCHIVE

هناك من مستدركات على بعض الكتب المطبوعة، فأزيدها عليها؛ وأبحث عن (أصول) الكتب التي لم تطبع بعد، فأرتب فصولها وأعدها للطبع. وفتحت أدراج الدولاب، فرأيت وعرفت السر... رحمه الله!

ذلك جهد لا يقوى على مثله جند سليمان ولكنه قوىَ عليه وحده، ثم مات وخلّفه شاهداً على ما بذل في حياته لخير هذه الأمة فلم يلق من يعرف يده!

وإلى القارئ أصف ما عثرت عليه:

يعرف قراء العربية أن كل كتب المراجع في لغتنا ليس لها فهارس تعين الباحث على التماس ما يريده منها في أقصر وقت، إلا بضع كتب من المطبوعات الحديثة؛ فالأغاني، والأمالي، والعقد الفريد، والكامل، والعمدة، والخزانة، والحيوان، والبيان والتبيين، وكتب الطبقات، وحتى كتب الفهارس والتراجم، ليس لها فهارس يمكن الاعتماد عليها عند البحث؛ فمن أصاب منها غرضاً فمن طريق المصادفة والاتفاق، أو بعد المطاولة وضياع الزمن؛ وحسبي أن أذكر أني ذات مرة أنفقت ليلة كاملة في البحث عن كلمة في البيان والتبيين ثم لم أعثر بها فطويته على سأم وملالة؛ فلما كنت بعد أيام، وقد فاتت على الغرض الذي كنت أقصد، فتحت الكتاب عرضاً فإذا الكلمة التي كنت أريدها أمامي...

هذه الحقيقة يعرفها كل من عاني مشقة البحث في هذه الكتب؛ فهي كتب للقراءة المجرّدة لا للبحث والتنقيب العلمي. عرف الرافعي ذلك فاتخذ له طريقاً...

وكان أول ما صنع أن انتخب كل الكتب التي يعنيه أمرها فيما يمهد له من البحث، فقرأها كلها قراءة درس؛ وهي كتب ليست بالقليلة، وحسب القارئ أن يعرف أن كل فصل في كتاب تاريخ آداب العرب للرافعي قد اعتمد فيه على عشر مراجع من المطولات أو يزيد، ليدرك من ذلك كم كتاباً قرأ قبل أن يؤلف كتابه الذي ذكرت...

قلت إن الرافعي انتخب طائفة من الكتب يرجو أن تعينه على البحث فقرأها كلها، أعنى نَفَضَها نَفْضاً بحيث لم يفُتْه منها معنى يتصل بموضوعه

ثم شرع يعمل، فكتب لكل كتاب مما قرأ ملخصاً يضم المجلدات الكثيرة في كراسة أو كراسات؛ يرجو أن تغنيه عن أصولها المطولة

ثم عاد إلى هذه الملخصات فرتب أجزائها ترتيباً يضم القريب إلى القريب بحيث يجد طلبته عند النظرة الأولى من غير أن يتعب في تقليب الأوراق

ثم كانت الخطوة الرابعة فزاوج بين ملخصات الكتب المختلفة يضم الأشباه منها إلى الأشباه

ثم كتب...

ثم عاد إلى المكتوب فقرأه قراءة الباحث: يزاوج بين رأي ورأي ليخرج منهما رأي ثالث... واجتمعت له من ذلك المقدماتُ التي تبلغ به النتيجة...

ثم كانت المرحلة الأخيرة هي التهذيب والصقل الفني، من صناعة البيان وتحكيك الألفاظ وتجميل المعاني وتزيين الأسلوب سبع مراحل بين البدء والنهاية... ثم خرج الكتاب لقارئه ليسائل نفسه في عجب: أين وأيان اجتمع لمؤلفه ذلك القدرُ من المعارف في شئون العرب والعربية فألف بين أشتاتها في هذا الكتاب؟

سؤال كنت أسأله نفسي قبل أن أرى وأعرف وأضع يدي على تلك الأوراق التي كانت في درج مكتبه فتكشف لي السر...

بين يديّ الآن الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب، أرجو أن أفرغ منه ليكون في أيدي القراء بعد أيام؛ وهو كتاب ألفه في سنة ١٩١١ أو قبل ذلك، ثم شغلته شئون الحياة عن إخراجه فخلّفه أوراقاً مصفرّة يكاد يبليها التقادم... في هذا الكتاب وجدت مفتاح السر، وسيقرؤه قراؤه بعد أيام فيعرفون في بعض فصوله أين بدأ مما انتهى وعند أي مرحلة وقف... ثم يذكرون مؤلفه فيترحّمون عليه...

... وفي مكتبته كتاب آخر أرجو أن يعينني الله عليه ما أعانني على هذا الكتاب. وهناك غير ذلك كراسات عدة وأضابير مطوية. تلك هي الفهارس التي كتبها ثم استكتبها... ولكنها — فيما تبدو لي — ألسنةٌ خُرْسٌ

***

قلت كانت المرحلة الأولى في تأليفه أنه اختار طائفة من الكتب... وأقول إن أول ما اختار من ذلك كتب التراجم؛

(البقية على صفحة ٨٤٠)

من مذكرات الأستاذ
محمد كرد على

« للأستاذ محمد كرد على مذكرات تتناول مشاهداته وتاريخ حياته من يوم وعى لنفسه ، وقد تحدث فيها كثيراً من مصر ورجالات مصر ، ويسرنا أن نقدم إلى قرائنا هذه الصفحة منها . »

أنموذج القضاة

لم أرَ فيما رأيت من أنواع العداوات أشد من تعادى المشايخ ، ولا أكثر من غمط بعضهم حق بعض ، ولا أعظم من تكالبهم على حُطام الدنيا ، ولا أشد تهالكا منهم على أبواب الأمراء والحكام . ولقد رُويت لى عنهم روايات ما كنت أصدقها لولا أن رواتها ممن لم يعرفوا الغيبة والنميمة . ولما أخذت أتعرف إلى الرجال رأيت ما هالنى ، وآلمنى أن كان من يُطلب منهم الصدق هم من أول الكاذبين ، ومن تفترض فيهم الأمانة هم فى مقدمة الخائنين ؛ وأيقنت أن القليل منهم عرفوا الكرامة وعزة النفس . وهم هم جعلوا مسلكهم بعضهم علامة ضَعَة وصَغار ، وكان علامة شرف ونخار . وأصيبوا بغرور وزهو ظنوا معهما أن سلطانهم القديم على الملوك ، فمن دونهم ، يبقى لهم بهذا الجهل وهذا الفساد

قلت يوماً لعالم درس تاريخ الإسلام درس تدبر ، وعرف استخراج عبره : « أما كان فى العصور الماضية قضاة جاهلون فاسقون سارقون ، فكتب الأدب تتعرض لذكر كثير مما كان يتهمون به ، أليس ما روى عنهم بصحيح أم صنعوه للنكتة ؟ » فأجاب : أكثر ما روى فى سيرة القضاة قديماً صحيح ، والجهل وسوء الخلق لا ينقطع دابرهما من الأرض ، ولكن إذا فرضنا أنه كان فى المملكة الإسلامية ألف قاض فى القرون الغابرة ، وألف مثلهم فى هذه الأيام ، فإن الألف السابقين كان فيهم عشرة فاسدون لا يصلحون ، أما الألف اللاحقون فالفاسدون منهم يعدون بالعشرات بل بالمئات . وأظن السلطان بيلديرم بايزيد العثمانى هو الذى جمع قضاة مملكته لما ثبت له قلة دينهم وتلاعبهم بالحكومة وأمر بقتلهم كلهم ؛ فلما حقت عليهم كلمة العذاب لجأوا إلى أحد حاشيته وندمائه ورشوه بمبلغ من المال « وداونى بالتى كانت هى الداء » ، فذهب إلى السلطان لابساً ألبسة السفر ، فسأله السلطان عن الداعى إلى اكتسائه هذه الكسوة ؛ فقال : إنه ذاهب إلى صاحب القسطنطينية ـ وكانت يومئذ بأيدى الروم ـ ليأتى من عنده بقسيسين يتولون القضاء فى بلاد السلطان . فضحك هذا وعفا عن القضاة على ألا يعودوا إلى سالف سيرتهم القبيحة

وما زالت حال القضاة فى تدهور العصر بعد العصر حتى كانوا هم السبب الأعظم فى إدخال قوانين الغرب على الدولة العثمانية والحكومتين المصرية والتونسية لكثرة ما أساءوا إلى الشرع الإسلامى وعبثوا بأصوله وفروعه ، فكانت المحاكم الشرعية بؤرة فساد ، وأحكامها سلسلة من الخلل والملل ، فأكرهت أوربا الدولة على قبول قوانينها ، ظناً منها أن الفساد آت من الشريعة ، وما العيب إلا من جهل المنفذين لأحكامها وفساد أخلاقهم . وقد شاهدنا تحسناً ظاهراً فى قضاة الشرع لما أنشأت الدولة مكتب النواب فى الآستانة وكان المتخرجون على أساتذته إلى الاستقامة والعلم أكثر ممن سبقوهم بكثير . ومثل ذلك شاهدنا القضاء فى مصر يتولاه اليوم الأخيار وكان فى القرن الماضى يتولاه الأغمار والأشرار . بحثت سيرة من أعهنى أمرهم من القضاة فقل جداً من اقتنعت بذمته منهم ، ومن نعده مستقيما قد لا يتعفف عن قبول الهدايا من أرباب المصالح

قصة لطيفة وقعت لقاض من أهل دمشق كان فى دومة من الغوطة ، وكان مضحاكا خفيف الروح يحفظ كثيراً من النوادر والفكاهات ، وهذا جل رأس ماله فى القضاء على ما يظهر . أتاه ذات يوم رجل اسمه محمد عبد النافع أحد ظرفاء دومة بكتاب يقول له فيه إن الله خلقه بغير إرادته ، وأتى به إلى هذا العالم ولم يستشره ، وزين له أن يتزوج ففعل ، ورزقه أولاداً ليقر بهم عينى والديهم فكانوا علة إفلاس والديهم وشقاء والديهم ، وإن فقره يزيد كلما زاد عدد أولاده ؛ فهو لذلك يلتمس من القاضى أن يجلب إلى محكمته العادلة المدعى عليه وهو الله سبحانه وتعالى ليتقاضى معه ؛ فرأى القاضى أن صاحب الدعوى من أصحاب النكتة ، فانتظر حتى أنجز أرباب الأشغال مراجعاتهم وأغلق باب المحكمة ولم يترك فيها غير الموظفين والقائم مقام ، وطلب المدعى وهو والحاضرون يصطنعون الجدّ ، فسأله عن دعواه على الحق تعالى ، فقال إن دعواه مكتوبة فى القصة التى قدمها . فقال القاضى للمدعى بعد أخذ ورد قليل : هل تسقط دعواك يا شيخ إذا أُعطيت من مال الله خمس ليرات عثمانية وكيس طحين ؟ قال :

أفعل . قال القاضي : أنا سائلك سؤالاً تجيبني عليه بصراحة . فقال : الأمر لسيدي . فقال القاضي : جاء هذه البلدة قضاة كثيرون قبلي فلِمَ لم تتقدم إليهم بهذه الشكوى لينصفوك ممن تدعي عليه سبحانه وتعالى ؟ فقال : لم يكن القضاة الذين يقدمون لتولي القضاء في بلدنا مثلك ، كانوا يخافون منه . فصفق الحاضرون تصفيقاً شديداً استحساناً لهذا الجواب . وربما قال القاضي في سره إنه والله لصادق ؛ فأنا أعلم من نفسي أن معظم القضاة لعهدنا لا يخافون الله ، هم لصوص على رؤوسهم عمائم بيضاء ، وإن طعامهم ولباسهم ومأواهم من أموال اليتامى والأيامى . وهكذا كان هذا القاضي يقول لزوجته مفاخراً ، وما أشك أنه من قضاة النار . . .

هزل مصر

ومنها من فصل عنوانه « هزل مصر » :

... في مصر اليوم عدة جماعات ومجتمعات تظفر في بعض حواشيها بأفراد ممتازين يختلفون إلى المقاهي ويزهدون في الاجتماع في بيوتهم ، وكذلك الحال في بلاد الشام ، وكانت فيها الأندية الخاصة أو « البماكيك » في كل حيّ من أحياء المدن والقرى الكبيرة . ولي جماعة في بار اللواء أمام إدارة جريدة الأهرام بالقاهرة ، وهم بقايا صالحة من أرباب الثقافة العالية والوطنية الحقة الصامتة ، ومنهم صديقي القديم الأمير محمد بك علي المهندس ، وقد وقع لي، وأنا أسير معه في بعض الشوارع ، وأمه سودانية وهو أسود البشرة محمود الصفات خدم السياسة المصرية بما يخدمها به الرجل الشريف أعواماً طويلة وما طلب على عمله لوطنه مكافأة ولا طمع في مظهر من المظاهر التي يطمع فيها المتجرون بالوطنية

وقع لي أن لاقيت على الجادة صديقاً لي آخر اسمه صالح افندي السوداني وهو أسود أيضاً بلون محمد بك علي ، وهو من أرباب الأقلام ومن المخلصين في خدمة مصر ، فقلت لهما : خطرت ببالي الآن قصة وقعت لي في بلدي وأنا في صدر الشباب ، كان لنا جار وهو أخي من الرضاع اسمه رشيد الهبل من أبناء البيوتات القديمة وقد خلف له أهله ثروة جيدة ، وكان أسود اللون قاتمه مثلكما ، ولكما المثل الأعلى ، فكنا يومئذ نركب الخيل وعنده وعند والدي منها عدة نمتطي بعضها عند الأصيل ونخرج إلى المتنزهات بين البساتين . فقال لي والدي يوماً : إنك يا بنيّ تثبت كل يوم حسن ذوقك ؛ أما رأيت في هذه المدينة الكبيرة أجمل طلعة من جارنا ابن الهبل تصحبه إلى نزهتك ؟ ودعا لي بالتوفيق والنباطة ! والتفت إلى الصديقين وقلت لهما من باب مطابقة الحديث للترجمة : أليس قول والدي يصدق عليّ الآن ؟ ولا شك أن الناس هنا أدق شعوراً فيضحكون إذ يرونني بينكما . فضحكنا ضحكاً كثيراً ... وتالله إني لأفضل هذين الأسودين بما فيهما من صفات غُرّ على كثيرين من البيض أصحاب الصحائف السود .

محمد كرد علي

اعلان

تعلن وزارة الدفاع الوطني أنها في حاجة إلى سائقي سيارات متطوعين بماهية شهرية قدرها ٥٠٠ مليم ٣ جنيه شاملة ثمن الغذاء وبخلاف المسكن والملبس ومدة التطوع سنة قابلة للتجديد .

ويشترط أن يكون المتطوع مصري الجنس وبيده رخصة قيادة من قلم المرور وأن لا تقل سنه عن ٢١ سنة ولا تزيد عن ٣٠ سنة على أن يكون المقبولون عساكر خاضعين للأحكام العسكرية مدة التطوع .

فعلى من يرغب في التطوع أن يقدم طلباً بذلك إلى صاحب السعادة مدير القرعة العسكرية بالعباسية بالقاهرة وأن يوضح فيه تاريخ ميلاده ونمرة وتاريخ الرخصة التي بيده ومحل إقامته لاتخاذ اللازم نحو الكشف عليه طبياً وامتحانه . ٦٧٥١

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

خواطر يثيرها سائل

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٣ —

سنة الله — التحرر من التاريخ — الطفولة موضع أمل — عصر العمل — شرود النساك — عالم الأجسام — فلنعش هنا — معنى العبادة — الدين ابتهاج لا كآبة — دعوة الأغنياء للدين — الحياة لعب ولهو — جناية الدولة على حياة الروح

لا يزال أكثر الناس يجهل سنة الله واتجاه إرادته في الطبيعة على الرغم من كثرة عدد العلماء الطبيعيين، ولا يزال كثير من الأمم يأبى أن يبنى الحياة الإنسانية الفردية والاجتماعية كما بنى الله الطبيعة بقوانين لا تخطىء ولا تستثنى ولا تهمل، مع أن الحل الوحيد الموفق السعيد لجميع المشكلات هو أن يبنى الفرد حياته وتبنى الجماعة حياتها كما بنى الله الحياة العامة على الحرص الدقيق واليقظة التامة والعلم الشامل والقوة القاهرة والتصميم النافذ والاستيعاب الكامل للجزئيات والتوزيع العادل للقوى والعناصر؛ فبرزت في هذا التناسق والانسجام والجمال

ومع هذا الجهل الفاضح من الناس «لسنة الله» نجدهم في غاية الجرأة إذ يقدمون على محاكمة الله بعقولهم الصغيرة المحدودة التي لم تعرفه بعد ولم تعرف اتجاه إرادته الظاهر في الطبيعة

إن الله احتجب عنا فلن ندركه بأبصارنا إذ لا قدرة ولا طاقة لنا على ذلك. ولكنه وضع أمامنا «خريطة» المكون مفصلة واضحة لنرى فيها تخطيطه وأسلوبه في إيجاد الحياة وتنظيمها والقيام عليها

وقد وضع الله في الإنسان قوة أشبه بمرآة تنطبع فيها جميع صور الطبيعة ونظمها وهي «العقل»، وكان من المحتم لو سارت التربية سيرها الطبيعي أن ينتقل سنة الله في الطبيعة إلى تلك القوة وينطبع فيها فتحفظه وتنتبه إليه دائماً وتسير بإرشاده في بناء الحياة الإنسانية. ولكن قوة «الاختيار» التي في الإنسان من جهة وحبه «لاختبار» كل أفق «واستطلاع» كل شيء في الحياة هما السبب في عدم تقيده بما يوحى إليه أسلوب الله، وفي خلقه لنفسه جواً صناعياً جعله يبتعد بالتدريج عن الطبيعة التي هي كتاب الله إليه وصورة من علمه تعالى واتجاه إرادته

وشيء آخر غير «الاختيار» وحب الاستطلاع والاختبار يؤثر في إدراك الإنسان وعقله تأثيراً رديئاً ... شيء هو كل شيء... هو التاريخ المسطور في الصحف الموروثة وأدمغة العجائز والشيوخ الذين هم قناطر وجسور دائمة تعبر عليها ورائات من الجاهليات الأولى متحدرة في الدماء والأعصاب والألسنة هي آثار من المحاولات الأولى المغلوطة التي حاولها الإنسان لإدراك الله وإدراك اتجاهه في الطبيعة

إن خمائر التاريخ السيئة هي التي تعوقنا عن رؤية الحق الصريح إنها جعلتنا أناسيّ صناعيين لا طبيعيين ... فلا يزال في التاريخ كثير من الأمراض والظلمات التي كنا فيها قبل أن نشب عن الطوق وندرك الرشد، إنه من أكبر أسلحة الشر لمقاومة تقدم الإنسانية ... إنه يربينا بما كان يربى عليه الأولون من العواطف والأفكار المغلوطة، ومن العجيب أن الاحتفاظ بخرافات التاريخ وجد له شرعة عصرية تحلله بحجة الإبقاء على «التقاليد» حتى الدين العقلي الطبيعي وهو الإسلام لم يستطع أن يمحو مصائب التاريخ ومواريثه السيئة من الأمم التي تدين به فدخل كثير من الناس فيه من غير أن يغتسلوا غسلاً تاماً من مواريث الوثنيات والأباطيل واكتفوا بتغيير عنوان حياتهم العقلية القلبية من غير أن يخلعوا ما وراء العناوين، ولو ذهبت أتقصى بقايا الوثنيات في ديار الإسلام وفي أفكار المسلمين لطال بي المقال، وحسبي أن أحيل كل قارئ على علمه بما يجري، وإذا كان هذا في ديار الإسلام فما بالك بما في ديار غيره ... وقد انحدرت إلينا هذه المواريث سائرة مع أصول الدين جنباً لجنب ولم تنتبه إلى ازدواج شخصياتنا تبعاً لذلك، وإني أتخيل جيلاً من الأطفال ربي بأيدي حكماء تحرروا من كل باطل واسترشدوا بأسلوب الطبيعة وسلامة الفطرة ولم يأخذوا الأفكار العامة عن الحياة والدين من التاريخ والبيئة الملوثة. أتخيل ذلك فتسطع أمامي في هذه الأرض أنوار من الجنة الموعودة في السماء ...

ولم يستطع نبي أن يتلقى الوحي عن الله إلا بعد هذا التجرد من التاريخ ... إن النبوة في مبتداها تجرد من كل شيء موروث

ثم إيغال فى الوصول إلى أصول الحياة ، ثم رؤية يد الله وهى تضع هذه الأصول وتحفظها ، ثم سماع الله بعد ذلك ...

والطفولة هى موضع أمل الإصلاح ... ولكن هل تترك الإنسانية المصلحين يبنون مستقبلها ؟ هذا سؤال قبله سؤال آخر : هل هى تدرك المصلحين وتعرفهم ؟ نعم تدركهم ولكنها تحسدهم ؛ لأن الغرائز السفلى وقوى الشر دائماً تسلط الحسد ليكون طليعة فى الدفاع عنها وبقاء وجودها ...

قلوب الأنبياء والحكماء كقلوب الأطفال ... لأنهم يرتدون دائماً إلى مبادئ الطبيعة وأوليات الحياة البسيطة التى لم تلتو مع ميراث النفاق الاجتماعى والإثم الصناعى . فهم دائماً ينظرون بفرحة وبهجة إلى الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكل شىء ... وكل شىء . وكأنهم فى ابتداء حياة جديدة كل يوم بل كل ساعة ... وتترقى نظرتهم بترقى إدراكهم حتى ينتهى بهم الأمر إلى أن ينظروا إلى الوجود نظرة خالق الوجود ! نظرة وراءها وصاية على كل شىء واهتمام به وحرص على استمرار نفاذ قوانين الحق على سنة الله وطريقته

***

قد كان من الواجب على الإنسان أن يقلد أسلوب الله منذ وجوده . وأسلوبه يتمثل فى العمل والصمت الدائم ... ولكن الإنسان أخذ يلهو ويعبث ويتكلم ! وفرح بالكلام وقضى فى علوم الكلام دهراً طويلاً من عمره ، حتى جاء العصر العملى الذى لا نزال فى فجره وبواكيره . وهذا العصر العملى كثير البركات على الإنسان ، إذ كشف له عن كثير من أبواب كنوز الطبيعة ومفاتيحها . وكان من أول الواجبات بعد هذا العصر أن يشرع الإنسان فى تعديل غرائزه السفلى وتهذيبها و « تطويرها » حتى لا تشغله بسفالاتها القديمة وصراخها الصبيانى

وإنى لأعجب من العلماء الطبيعيين الذين كشفوا عن كثير من الأسرار العملية فى الطبيعة ، ثم استمروا بعد ذلك خاضعين للغرائز السفلى ومواريث التاريخ الجاهلى ! كما أعجب من النساك والعباد الذين يتنسكون ويتركون الجهاد للحياة العملية والاندماج فى موجاتها !

إن الله بناء بنى السماء والأرض والجبال . . . وصانع صنع أجسام النبات والحيوان . . . وسقّاء يسوق السحاب الثقال ... وزراع يخرج نبات كل شىء ، ومعلم هدى كل شىء إلى طبيعته ... وفنان طرّز حواشى الوجود ، وصبغ الخدود ، وزركش الأرض بالورود ، ورقق أنفاس الرياح ، ونشر العطر الفياح ، ورقرق الأنهار ، وجلا النهار ، وزين الظلام بالمصابيح الوضاء...

« فالجمال هو توقيع الله على الأشياء » !

فكيف يأبى النساك أن يعملوا للحياة عمل الله ؟!

إنهم لم يعرفوه ! فلو عرفوه لساروا على أسلوبه ، ولأقاموا أسواق الحياة عامرة . . . لأنه خلقهم ليعمروها لا ليتركوها غامرة سامتة صمت الخراب والقبور ...

إن حياة التأمل فى الله بدون عمل قليلة المحصول جالبة للخبال « ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا »

الأجسام ! الأجسام ! هى أداة الحياة فى الدنيا ، فيجب أن نحيا بها حياة كاملة ، ولا نعطلها فى البحث وراء العالم الخفى ... يجب أن نخرجها إخراجاً جيلاً قوياً فإنها محاريب من محاريب الطبيعة أيضاً ... بل يكاد يكون الجسم الإنسانى الجميل المكتمل أجمل شىء فى الوجود ...

لعل النساك يحرمون أنفسهم هنا لينالوا ما هناك ؟ ... كلا ! ليس وجود الآخرة معناه ألا نحيا هنا حياة طيبة بقدر ما تسمح به طبيعة الحياة الدنيا . . . إن الآلام هى سبب الكفر والجرائم التى تحرم من جنة السماء فلنحاربها ولنمحها إذا استطعنا لنضمن الرضا عن الحياة والرضا عن الله

لماذا ننشد نعيم الآخرة بشقاء الدنيا ؟! ألا يجوز الجمع بينهما ؟ بلى ! وإلا فالحياة مأساة !

ويقينى أن صلاح الدنيا صلاح للآخرة

إن الدين لم يكلفنا بعمل أشق من الموت فى سبيل الله . وما معنى الموت فى سبيل الله ؟ إنه الموت لتكون كلمات الله هى العليا . ولن تكون كلماته كذلك إلا إذا سار الإنسان على أسلوب الله فى الطبيعة فضمن سلامة الحياة من إجرام الغرائز السفلى وظلمها ، فكأنه أشق عمل دينى فرضه الله وسيلة لإصلاح الدنيا . فصلاح الدنيا هو المطلوب الأول لأننا نحيا حياتنا هذه قبل حياتنا الأخرى

يقول النساك المعتزلون للحياة : إنهم يطلبون وجه الله بالعزلة ... ولكن وجه الله الحقيقي لا يرى ... وفي الحديث : « إن الله احتجب عن الأنظار ، وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أنتم » . ذلك قول قاله أعظم نبوة رأتها الأرض ، وعليه طابع جلالها وعمقها وصدق تجربتها في البحث عن وجه الله

ولكن صور وجه الله تظهر جلية رائعة في الطبيعة وفي آفاق الحياة الإنسانية ، فعلينا أن نبحث فيها عن الله وأسراره . وما خلقنا بالأجسام إلا لنعرفه في عالم الأجسام . . .

علينا أن نلبس الحياة لبساً واسعاً شاملاً وأن نحسها في كل شيء إحساساً عميقاً . وتلك هي حقيقة عبادتنا . فالدين هو الإحساس بالحياة إحساساً دائماً يكون معه الفكر في الله مبدع الحياة . وبهذا أجد تفسير « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » وبهذا التفسير تتبين غاية الخالق من خلق الناس متحققة واضحة جلية . أليس كذلك أيها الأخ البيروتي أوليس كذلك أيها الأخ الآخر « ح . م » ؟

فالإحساس الصادق بالحياة والعمل بمقتضى هذا الإحساس هو عبادة الله . وعلى هذا تكون كل حياة الإنسان في الأرض عبادة . . . حتى خدمته لنفسه وشعوره بلذاته المحللة وكشفه العلمي وعمله للرزق ما دام وراء كل أولئك فكر في الله وتنبه إلى سر إيجاده للحياة

وتبتدئ العبادة حين يحس الإنسان أنه دخل هذه الحياة مكرهاً من غير إرادة ، فصبر على ما فيها من آلام ومشقات حتى يتوفى الله نفسه من جسده ... فالمنتحر كافر لأنه لم يتحمل آلام التجربة والاختبار في هذه الرحلة الأرضية التي لا بد أن يكون وراءها غاية عقلية عند الذي دعانا إليها وحملنا عليها . المنتحر شخص وهبه الله الحياة فردها في وجهه . فما دمت قد شعرت أني لست أنا الذي خلق نفسي ودفع بها إلى هذا البيت الهائل المظلم فصبرت وانتظرت وفكرت في صاحبه دائماً فأنا عابد لله ؛ لأنني سرت طائعاً مع أبناء الحياة ، ومواكب الطبيعة التي تسير أمام عصا القهر طائعة ساجدة

والفرق بين أعظم القديسين وأعظم الكافرين هو اتجاه الفكر والنية إلى رب الحياة في كل عمل وفي كل وقت ... فالقديس كل أعمال حياته مسبوقة باتجاهات ونيات منظور فيها إلى رب الحياة ... والكافر كل حياته غفلات يأخذ بعضها برقاب بعض فلا يفيق منها إلا عند الموت . مع أنه حين يدخل متحفاً أو بيتاً جميلاً يسرع فكره إلى السؤال عمن بناه أو نظمه ...

لقد أفسدنا المعاني الدينية بأخذها تقليداً من دون فكر وروح وإحساس بها وبتلقينها للأحداث قبل أوان تفتحها في أرواحهم وعقولهم بمناسباتها . فحسبنا العبادة هي أداء رسوم الصلوات والزكوات والصوم وغيرها ... كلا ! إن العبادة هي الإحساس الصادق بالحياة والشعور اللازم بالله والفكر فيه ، وفي أسلوبه وتقليد أعماله في الطبيعة من أول الوعي للحياة إلى أن تجيء سكرة الموت ... وأما الصلوات وما وراءها مما يسمى عبادات ، فهي فيض النفس بتلك المشاعر والأحاسيس والأفكار فيضاً يتمثل ويتشكل ويظهر في عالم الأجسام بعد امتلاء الروح ...

والدليل على ذلك أن هذه الأعمال تكون باطلة إذا خلت من التوجه والنية ... فكأنها مواقف « استعراض » لأجسام الذين تمثلت فيهم الحقيقة الدينية كمواقف استعراض الجنود الذين يجيشون لغاية ما ، ولن يعد الجندي بلباسه وشاراته وسماته الظاهرة إلا إذا كان عامر القلب بمعاني الوطنية والغاية التي جند من أجلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

شيء واحد ينبغي للانسان أن يحرص عليه ، حتى يحقق الغاية من خلقه : هو أن يحيي رب هذه الحياة بتحية بسيطة قبل أي عمل أو متاع ، ومع كل ألم ...

فإذا استطاعت التربية في بيوتنا ومدارسنا أن تجعل هذه الخاطرة الصغيرة عادة ملازمة للانسان ، فقد قام الدين وأقيم أساسه في النفس ، ثم تأتي سائر رسومه وأشكاله بعد ذلك فيضاً نفسياً وفعلاً اختيارياً

وإن إدراكنا لله في القرن العشرين يجب أن يكون أوسع منه عند جماهير الناس في القرون السالفة . وهذا منوط بالتربية ، والنشأة الطبيعية تحت التأثير المباشر للطبيعة أقل ضرراً وإفساداً لنفس الطفل من التربية المغلوطة التي فيها مواريث ومقاييس فاسدة

والدين يجب أن يعلم على أنه بهجة وفرح بالحياة التي أتاحت لنا أن نعرف الله في هذه الرحلة السعيدة التي دعانا إليها على الزورق الأرضي

ولشد ما يغيظ ويؤلم أن ترى حياة التدين عند أكثر الناس ملازمة للكآبة والضعف والحزن والفقر ! ... وسوء الطريقة في دعوة الأغنياء والأقوياء للدين ، هي التي حرمتهم منه وحرمته منهم ، حتى صار معلوماً عند الناس أن عبادة الله لا تكون من قوة ولا غنى ، وإنما تكون من الفقر والضعف الذي لا يملك في الأرض صرفاً ولا نصراً . وعدم التفريق بين ما لا بد منه في الدين لأنه ضروري وبين ما منه بد لأنه كمالي هو مما جنى على حياة التدين بعدم انتشارها بين الأغنياء والأقوياء

ثم إن مفاجأة الأغنياء والأقوياء بألحان الكآبة والحزن والموت والقبر وجهنم ، وغمرهم بكثرة التكليفات التي لا يقوم بها إلا الورعون ، هي التي جعلت نفوسهم تضيق بهذه القيود القاسية التي تحبسهم عن حياة المتاع الحلال والحرام الذي لم يبين لهم سبب معقول لتحريمه إلا الخوف من عذاب جهنم . والدين إذا لم يبن على الفكر والتعليل أوشك أن ينهار بناؤه ، حتى في نفوس الدعاة إليه . وخصوصاً إذا كان ديناً يهيمن على شئون الدنيا ويقيم لها حدوداً كالإسلام

أمن الحق أن يوجه فكر الإنسان دائماً إلى الموت على أنه هو المطلوب الأول من الحياة ؟

وهل من الحق أن نجعل المثل الأعلى للحياة الدينية هو التفرغ لما يسمى عند الناس بالعبادات ؟

قال الغزالي : « واعلم أن العلم غذاء والدين دواء ، فمن جعل الدواء غذاءه مرض ... »

وقول الغزالي هنا قول فصل ، لأنه قول خبير في هذا المقام ومن قواعد الدعوة الإسلامية الأولى أن العامة والجماهير ينبغي ألا يحملوا على الورع والزهد والتزمت ...

والقرآن يعترف بسلطان الحياة على النفوس ويقول : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . ويقول : « إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد » . ويكرر هذا المعنى في غير موضع . فلماذا نريد نحن أن نفرض للحياة صورة عقلية كلها جد مؤلم مستمر وصرامة . ونريد أن نحمل الناس عليها ، مع أن العقل والشرع والتجربة الأزلية تقرر أن هذا مستحيل ؟ وهل كل ما في الحياة إلا تكوين وتخريب كلعب الأطفال ؟ وهل الرجال والنساء إلا أطفال كبار يلعبون في الحياة لعبها المعهود بالجمع والطرح ؟

إننا نصنع من طين الأرض وموادها الميتة آلات تسعى وتطير وترى وتسمع ... ثم نخربها بالاستعمال والامتهان ونكون غيرها وهكذا . .

إننا نشقى في جمع المال والاقتناء والاستكثار ثم نترك كل هذا لغيرنا يعبث فيه ويبدده . أليس هذا عبثاً أو شيئاً أشبه بالعبث في نتائجه ؟ ولكننا محمولون على هذا من الطبيعة ولن نملك لأنفسنا غيره ، ورجال الدين مثلنا مع أننا نعلم ما تقول الحياة وما قال القرآن عن الدنيا من أنها « متاع الغرور »

فلماذا لا ننظر إلى الحياة على حقيقتها هذه ثم لا نتشاءم من كثرة ظواهر الشرور فيها ، حتى لا يحملنا التشاؤم على اليأس وترك الكفاح ، ثم نحاول أن نتلطف في الدخول على الطبيعة البشرية اللاهية اللاعبة فنقنعها بواجبات الجد والعمل في الأوقات القليلة التي لم يطلب الله في غيرها من الإنسان أن يؤدي عملاً ؟

وكما تلطفت التربية في الدخول على طبيعة الأطفال ، فعلمتهم مبادئ العلوم ، ودربتهم على مبادئ الأخلاق عن طريق اللعب من غير شعور ، ينبغي أن تفعل مثل ذلك مع الأطفال الكبار : الرجال والنساء ... وتلك هي رسالة رجال الروح ...

ولكن الدولة قد جنت على الحياة الروحية أكبر جناية حين أباحت الانتساب إلى الدين لمن لا تؤهله عقليته ، ولا ثقافته ، ولا تكوينه الجسمي أن يكون قائداً من قواد الروح ، وعنواناً جذاباً للدين ... وإلى الآن لم يتيقظ كبار رجال الروح إلى ضرورة وضع حد لهذه الحالة مع أنهم يدرسون في علوم العقائد أن الله لم يرسل رسولاً إلا بعد الانتقاء والاصطفاء ، وأنه لا بد أن يتحلى بالصدق والأمانة والتبليغ والفطانة والخلو من العيوب المنفرة ...

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة فقد كان ذكياً قوياً جميلاً لطيف الروح دمث الأخلاق رحب النفس نظيف الجسم والثوب يمشط شعره ويعطر ثيابه ويخضب لحيته

ولقد عاش رسول الله بجسده عيشة رحبة كما عاش بروحه فسابق وصارع وركب وحارب ولبس الدروع واقتنى السيوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والخيل وأكل من الطيبات وتمتع بالنساء، وسمع الغناء وشاهد الرقص وسمح به في المسجد، وأمر بالهرولة في السعي إظهاراً للقوة، واستعرض الجنود ... ولذلك خضع لقوانين الأجسام ولم يشرد على المجتمع هائماً ولم يعش منطوياً على نفسه يأكل خواطره وتأكله خواطره

فكذابون أفاكون هم الذين يزعمون أن الله لا يريد أجسامنا، إنه ما خلق أرواحنا إلا فيها ولم نعرفه إلا من نوافذها وحواسها وهي أدوات علومنا وإحساسنا بالحياة، وهل نرى في الحياة غير الأجسام ... إن حياة الروح الخالص لا تكون في الأرض إلا كلمات البرق

لقد ضاع الحق من المسلمين لما أهملوا قوانين عالم الأجسام والتفتوا إلى عالم البدوات والأماني والأحلام والكلام. فضاعت القوة لما ضاع الحق فهما صنوان متلازمان: فالحق قوة، والقوة حق!

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

الفقــــه الاسلامي
ورعاية الصالح العام

للأستاذ محمد محمد المدني

المدرس بكلية الشريعة

«الفقه الإسلامي» مستنبط من الشريعة الإسلامية، وهذه الشريعة تمتاز بأنها شريعة الفطرة، وشريعة العقل، وشريعة الرحمة:

فهي تعترف بالحقائق، ولا تحاول الخروج على السنن الكونية ولا تصطدم بالعلم، ولا تضيق صدراً بالإصلاح، ولا تكلف الناس ما ليس في استطاعتهم!

ذلك بعض ما كانت به الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وجعل لها هذا الاعتبار العام، ولم يكن فقهها معه شخصياً ولا موضعياً

وليس معنى هذه الصلاحية أن كل جزئية من جزئيات الفقه التي استنبطت لا تقبل التغيير ولا التعديل، فإن ما صلح للأولين لا يعقل أن يكون هو بعينه، وفي جميع جزئياته، ما يصلح للآخرين

ذلك أن شريعة العقل والرحمة لا تجهل أن الأحوال دائماً في تغير، والدنيا في تقلب، ولكل قوم عادة وعرف

ولو كان هذا هو المعنى المقصود من قولهم: «إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان»، لوقعنا منه في حرج عظيم، وتكليف لا يحتمل

أيجوز مثلاً أن نرجع بالمساجد إلى حالتها الأولى، فنجردها من الفرش والبسط، ونكتفي بأن نفرشها بالرمل أو الحصباء، لأن سنة السلف في مساجدهم كانت كذلك؟

أيجوز مثلاً أن نلزم القاضي بأن يكون له في المسألة الواحدة قضاء واحد من غير تفرقة بين أحوال المتقاضين وبيئاتهم؟

لقد سمعت أن قاضياً شرعياً عُرضت عليه قضية أهان الزوج فيها زوجته بألفاظ جارحة — وهما زوجان من وسط راق — فطلبت الزوجة التفريق، فقضى لها به القاضي

فهل يجوز للقاضي أن يقضي بمثل ذلك في قضية يكون الزوجان فيها من وسط قد ألف ذلك فيه، بل ألف فيه ما هو أشد منه كالضرب مثلاً؟

أيجوز لنا مثلاً أن نلزم وزارة الدفاع أن تلبس جنودها العمامة البيضاء تحقيقاً للخبر الذي يروون: «تعمموا فإن الشياطين لا تتعمم»؟

إن هذا وما عائله هو الحرج الذي لا يرضى الله به، ولا يرضى به رسوله، ولا تقول به شريعة العقل والرحمة!

يقول ابن القيم «إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد، في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها وحكمة كلها، وكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل!»

فالمعنى إذن في صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، أن الشريعة قد بنيت أحكامها على رعاية المصالح، ولما كانت المصالح تختلف باختلاف الناس، وتتكيف بتكيف الظروف والبيئات، وتتغير بتغير العوائد، اعترفت الشريعة بذلك ففتحت باب الاجتهاد وأباحت للناس أن يستنبط أولو الرأي منهم ما يصلح لهم، وينهض بهم في حدود ما رسمت وبينت

وآية ذلك أن الشريعة الإسلامية تركت كثيراً من الفروع

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من غير نص على أحكامها ، وأنها تعنى – قبل كل شيء – بالأصول العامة والمبادئ الأساسية ، دون التفاصيل والجزئيات !

وفى هذا المعنى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم ، غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها »

فهذه الأشياء هى موضع اجتهاد المجتهدين، وقوله « فلا تبحثوا عنها » أى فلا تطلبوا فيها نصًّا فتحرجوا أنفسكم . وهذا معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم ، وإن تسألوا عنها حين يُنزَّل القرآن تبد لكم ، عفا الله عنها ، والله غفور حليم . قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين »

وليس اعتبار الظروف والأحوال ، ورعاية الصالح العام ، فى الفقه والأحكام ، بالشيء المستحدث ، فقد وجد منذ وجد التشريع ، وكان حيث كان الفقه والاجتهاد

وإننا نسوق أمثلة لذلك من أحكام الرسول ، صلوات الله عليه ، وأمثلة من أحكام الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والأمراء

١ — فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، أن قريشاً أهمهم أمر المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ وهل يجترئ عليه إلا أسامة ؟ فلما كلمه أسامة قال : « أتشفع فى حد من حدود الله يا أسامة ؟ إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . والذى نفسى بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ! »

٢ — وروى أبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو

فهذان حكمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى شيء واحد هو الحد : تراه فى الأول يصر على إقامته ، ولا يقبل تعطيله ، مع أن السارق امرأة من أكبر القبائل وأشرف البيوت ، ومع أن أمرها أهم قريشاً وأزعجهم ، ومع أن الشفيع صاحب من أحب أصحابه إليه !

وتراه فى الثانى ينهى أن تقطع الأيدى فى الغزو ، فهل كان إصراره فى الأولى إلا لأن أمراً كهذا لو دخلته الشفاعة ، وقبلت فيه الوساطة ، وفرق بين الشريف والوضيع ، لضاعت الحكمة المقصودة فيه ، وبطلت الغاية المرجوة منه !

وهل كان نهيه فى الثانية إلا خشية أن يترتب عليه ما هو أضر على المسلمين ، وأبغض إلى الله ، وهو لحوق المقطوع بالعدو حمية وغضباً . ولكن التشديد فى الأولى ، والتسامح فى الثانية ، يدعو إليهما أمر واحد وإن اختلفا ظاهراً ، وهو الحرص على أمور المسلمين ، أن يفضى إليها الخلل ، أو يلحقها الاضطراب والفساد .

وقد روى مثل ذلك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١ — قال علقمة : كنا فى جيش فى أرض الروم ومعنا حذيفة بن اليمان ، وعلينا الوليد بن عتبة ، فشرب الخمر ، فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم ؟

فهل ترى فهم حذيفة ، ونصيحته للمسلمين حين فهم ونصح إلا فقها تمليه السياسة الرشيدة ، والنظر الصحيح ؟

٢ — وشبيه بهذا ما روى من أن سعد بن أبى وقاص كان قائد المسلمين يوم القادسية ، فأتى بأبى محجن ، وقد شرب الخمر ، فأمر به إلى القيد ، فلما التقى الناس قال أبو محجن :

كفى حزناً أن تطرد الخيل بالقنا   وأترك مشدوداً على وثاقيا !

ثم قال لامرأة سعد : أطلقينى ، ولك علىّ إن سلمنى الله أن أرجع حتى أضع رجلى فى القيد ، فإن قتلت استرحتم منى . فحلت وثاقه ، فوثب أبو محجن على فرس لسعد يقال لها البلقاء ، وكانت بسعد يومئذ جراحة فلم يخرج ، ثم أخذ أبو محجن رمحاً وخرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون : هـذا ملك ! لما يرون من صنيعه ، وجعل سعد يقول وهو يرقب المعركة : الضبر ضبر البلقاء والطعن طعن أبى محجن وأبو محجن فى القيد ! ! فلما هزم العدو رجع أبو محجن فوضع رجليه فى القيد ، وقصت امرأة سعد على سعد ما كان من الأمر ، فقال سعد : والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى هذا البلاء المسلمين ، فخلى سبيله ! فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ يقام على الحد فأطهر منها ، فأما إذ أبطلته عنى فوالله لا أشربها أبداً

قال فى أعلام الموقعين « إن سعداً قد اتبع فى ذلك سنة الله تعالى فإنه لما رأى من تأثير أبى محجن فى الدين ، وجهاده وبذل

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

نفسه لله ما رأى درأ عنه الحد ، لأن ما أتى به من هذه الحسنات غمر هذه السيئة الواحدة ، لا سيما وقد شام فيه مخايل التوبة النصوح وقت القتال ، إذ لا يظن بمسلم إصراره في ذلك الوقت الذي هو مظنة القدوم على الله ، وهو يرى الموت

وأيضاً فهو بتسليمه نفسه ، ووضع رجليه في القيد اختياراً قد استحق أن يوهب له حده ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قال له : يا رسول الله ، أصبت حداً فأقمه علي ، فقال : هل صليت معنا هذه الصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فاذهب فإن الله قد غفر لك حدك ! »

وهذا هو الفقه !

٣ — ولقد كان عمر بن الخطاب ، وهو في الفقه والعلم من هو ، يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى المؤلفة قلوبهم ، وأن أبا بكر كان يعطيهم ، وأن الله يقول : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم ... الآية » ولكنه مع ذلك كله لا يعطيهم ، ويقول لهم : إن الله أعز الإسلام وأغنى عنكم ، فإن ثبتم عليه ، وإلا فبيننا وبينكم السيف !

فهو قد علل الإعطاء بالمصلحة ، إذ كان الإسلام بحاجة إلى استرضاء هؤلاء وتأليف قلوبهم ، فلما ارتفعت هذه الحاجة بعزة الإسلام ، لم يبق إلى استمرار الحكم من سبيل

٤ — ولقد ولى زياد بن أبيه إمارة البصرة من قبل معاوية ، فوجدها وكراً من أوكار الفساد ، وموطناً من مواطن الفجور ، فخطب فيهم خطبته « البتراء » التي كان بها أول من أعلن الأحكام العرفية في الإسلام فقال : « وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمطيع بالعاصي ، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم أو تستقيم لي قناتكم ... فإياي ودلج الليل ، فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ... وإياي ودعوى الجاهلية فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه . . . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً »

وقد سكت معاوية عن ذلك فلم يعلم أنه راجعه فيه ، فهل كان هذا الفعل من زياد ، وهذا السكوت عليه من معاوية إلا اجتهاداً وسياسة ، استباحا بهما إحداث ما لم يكن من الأحكام

وفي مثل هذا يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور

وإنك لتجد في فقه المذاهب كثيراً مما علق الحكم فيه على العادة والعرف ، واعتبر فيه تغير الزمان

١ — يقول المالكية : إن المرأة إذا مات عنها زوجها يستحب لها أن تلبس السواد زمناً ، رعاية لحقه ووفاء له ، ثم يقولون : إلا إذا كان السواد زينة قوم والبياض حدادهم ، فإن حدادها عليه حينئذ لبس البياض !

٢ — إن النبي صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من إقط ؛ وهذه كانت غالب أقواتهم بالمدينة . فأما أهل بلد قوتهم غير ذلك ، فإنما عليهم صاع من قوتهم ، كمن قوتهم الذرة أو الأرز أو التين أو غير ذلك . فإن كان قوتهم من غير الحبوب : كاللبن واللحم والسمك ؛ أخرجوا فطرتهم من قوتهم كائناً ما كان ، وهذا قول جمهور العلماء

وقد اجتهد علماء الأحناف إلى أبعد من ذلك ، فنظروا إلى العلة التي من أجلها فرضت الزكاة في هذا اليوم ، وهي الترفيه عن الفقير وإغناؤه عن المسألة ، فأجازوا إخراج قدرها من المال ، لأنه أنفع له وأيسر لسد خلته !

٣ — وكثيراً ما تجد في كتب الحنفية قولهم هذا : تغير عصر وأوان ، لا تغير حجة وبرهان . يقولون هـذا تعليلاً لاختلاف الروى عن أمامهم أو أحد أصحابه في المسألة الواحدة

فالمسألة إذن مفروغ منها ، والأمر فيها بين واضح ، وأساسها المصلحة التي جعلها الله أساساً لكل شيء !

ولقد جنى على الشريعة الإسلامية حملتها في بعض ما مضى من الزمان ، فأظهروها للناس بمظهر الشريعة الجامدة في أحكامها ، التي يضيق صدرها بما يحدث للناس من نظم ، أو يرون الأخذ به من أسباب ، ولم يحاولوا أن يدرسوا هذه النظم والأسباب ليتبينوا أمرهما ، فإن وجدوا خيراً وصلاحاً فإن الله لا يأبى الخير والصلاح ، ولا بد أن يكون في الشريعة السمحة منفذ إليهما ، وإن كانت الأخرى أنذروا قومهم ، وأقنعوهم بالضرر فيما هم عليه مقبلون ، أو به آخذون

لم يفعلوا ذلك ولكنهم اكتفوا بالصياح والشغب على الناس ، وتنكبوا طريق أهل العلم في الإقناع أو الاقتناع ، والشغب والصياح لا يجديان شيئاً في قضايا العلم ، ولا يصلحان أداة له في هذا الزمان !

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الاجتماع اللغوي

نشأة مراكز اللغة

للدكتور علي عبد الواحد وافي

يمتاز الإنسان بصدد التعبير عن بقية الفصائل الحيوانية بأمرين: أحدهما اللغة الصوتية، وثانيهما المراكز المخية التي تشرف على مختلف مظاهر هذه اللغة (مركز إصدار الألفاظ، مركز حفظ الكلمات المسموعة، مركز الكلمات المرئية ... الخ) فقد ثبت أن هذه المراكز ليس لها نظير في مخ أية فصيلة حيوانية أخرى حتى الفصائل العليا من القردة نفسها

فالبحث في نشأة اللغة يتطلب إذن دراسة موضوعين اثنين: أولهما نشأة الكلام في الفصيلة الإنسانية؛ وثانيهما نشأة مراكز اللغة في المخ الإنساني

وقد درسنا أول هذين الموضوعين في المقال السابق، وسنعالج ثانيهما في هذا المقال

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في نشأة مراكز اللغة في الفصيلة الإنسانية

فالقائلون باستقلال النوع الإنساني في نشأته عن الأنواع الحيوانية الأخرى يذهبون إلى أنه قد خلق مزوداً بهذه المراكز كما خلق مزوداً بخصائصه الأخرى كاعتدال القامة وإدراك المعاني الكلية ... وما إلى ذلك. ويرون أن هذه المراكز كانت في مبدأ الخلق ساذجة قاصرة؛ ثم ارتقت في بعض الشعوب حتى وصلت إلى درجة كبيرة في الدقة والنضج؛ على حين أنها جمدت في شعوب أخرى فلم تتزحزح كثيراً عن الحالة الساذجة التي خلقت عليها. ويرجع الفضل في ارتقائها إلى عوامل كثيرة منها كثرة استخدامها في وظائفها وما تمرن عليه من عادات مكتسبة واتساع الحضارة الإنسانية وارتقاء التفكير ... وهلم جرا. فشأن مراكز اللغة في ذلك شأن أعضاء الحس وأعضاء الحركة في الجسم الإنساني: تخلق مزودة بالقدرة على القيام بوظائفها، وتظل قابلة للارتقاء في هذه الناحية ما أتيحت لها الوسائل المواتية، فإن لم يتح لها ذلك قصرت عن القيام بوظائفها أو جمدت على الحالة التي كانت عليها في نشأتها الأولى

وأما القائلون بمذهب الارتقاء وتفرع الإنسان عن غيره من الفصائل الحيوانية، فيرون أن الفضل في نشأة هذه المراكز عند الإنسان يرجع إلى الظروف التي أحاطت به في مبدأ نشأته، وإلى الأمور التي ألجأته إليها مقتضيات حياته، وبخاصة ما يتصل منها بشؤون دفاعه عن نفسه. وقد اختلفوا في تصور هذه النشأة على الرغم من اتفاقهم على الأسس السابق ذكرها. وأشهر نظرياتهم بهذا الصدد نظرية دارون التي تتلخص في أن الإنسان كان في الأصل من الفصائل المتسلقة الأشجار؛ ثم اضطرته ظروف قاهرة إلى العيش على الأرض، حيث تعرض لغارات الحيوانات القوية وسطوها عليه. فاستخدم في مبدأ الأمر في مقاومتها أنيابه وأعضاء جسمه كما كان يفعل من قبل وكما تفعل أفراد فصيلته. ولكن هذه الوسيلة كانت تضطره إلى الارتماء في أحضان عدوه فتعرض حياته للخطر. فهدته غريزة المحافظة على الحياة إلى وسيلة أخرى تدفع عنه عدوان الحيوان بدون أن تضطره إلى الاصطدام به. وذلك بأن يقذف عليه عن بعد قطعاً من حجارة أو خشب أو معدن، أو بأن يمسك بطرف عصا ويدفعه عنه أو يضربه بطرفها الآخر. وقد كان لهذا الأسلوب

على الأزهر الحديث إذن أن يرأب ما أثأت يد الغفلات إذا أراد أن ينظر الناس إلى الفقه فيما يأخذون به من تشريع، ويسنون من قانون

على الأزهر الحديث أن يلبي مطالب الزمن، وأن يعرف مواضع الحاجة القومية فيجتهد في وضع حلول من الفقه الواضح الجيد لهذه المشاكل التي تعرض للناس في حياتهم الاجتماعية: في بيوتهم، ومتاجرهم، واقتصادهم، وقضائهم، وعقوباتهم!

عليه أن ينظر فيما جد من الأقضية والأحداث والنظم، فيعرض كل ذلك على الفقه ليعرف الوجوه التي كانت بها مخالفة له، والوجوه التي يمكن بها أن توافقه أو يقنع الناس بأنها أشياء في غيرها غنى عنها وعوض منها

وها نحن أولاء نشهد طلائع ذلك على يد طائفة من مفكري الأزهر وبقيادة شيخه المصلح العظيم

ولن يمضي زمان طويل حتى يكثر فينا هذا الصنف من الفقهاء، المنتجين المجددين، وحتى يسحب الزمان ذيل العفاء على «فقهاء بيزنطة» الجامدين!

محمد محمد المدني

الجديد أثران كبيران في حياة الإنسان :

أحدهما أنه يضطره إلى الوقوف على رجليه اثنين في أثناء دفاعه عن نفسه . ومن تكرار هذه الوقفة أخذت قامته تعتدل شيئاً فشيئاً حتى استوى القسم الأعلى من جسمه مع أطرافه السفلى ، وأخذت عادة المشي على أربع تضعف بالتدريج حتى انقرضت (وإن كانت تظهر في بعض مراحل الطفولة الإنسانية وفقاً لقوانين الوراثة النوعية التي تقضي بأن يجتاز الطفل في سبيله من الطفولة إلى الرجولة نفس المراحل التي اجتازها النوع في سبيله من الحيوانية إلى الإنسانية ومن الوحشية إلى الحضارة)

وثانيهما (وهو الذي يهمنا في موضوعنا) أن هذا الأسلوب الدفاعي قد أعفى الإنسان من استخدام فكه وأسنانه في الدفاع عن نفسه ؛ فتعطلت هذه الأعضاء عن القيام بجزء كبير من وظيفتها ونجم عن ذلك تقلص العضلات والعظام الصدغية التي تتحرك مع الفم ؛ وترتب على هذا التقلص أن اتسع مجال النمو للجمجمة ، فزاد حجمها عما كان عليه ؛ وباتساع حجم الجمجمة اتسع مجال النمو للمخ ، فزاد حجمه ونشأت به مراكز جديدة لم تكن به من قبل ، من أهمها مراكز اللغة التي نحن بصدد الكلام عنها

ولتأييد هذا الأثر الأخير ، قام العلامة أنتوني Anthony بتجربة على عدد من الجراء (الكلاب الصغيرة) ؛ وذلك بأن استأصل جزءاً من عضلاتها وعظامها الصدغية ، وتتبع نمو جماجمها بعد هذه العملية ؛ فتبين له أنها أخذت تتسع أكثر من المعتاد .

وقد تصدى كثير من العلماء المحدثين للتحري عن هذه الحقائق ، فثبت لهم فسادها من نواح كثيرة لا يهمنا منها الآن إلا الناحية المتعلقة بنشأة مراكز اللغة . فقد ظهر لهم بهذا الصدد أن تعطيل الفك والأسنان ، وإن نجم عنه اتساع في الجمجمة ، لا يترتب عليه مطلقاً اتساع في حجم المخ أو اختلاف في تعاريجه أو شكل تكونه . والتجربة التي قام بها أنتوني تدل هي نفسها على صحة ذلك . فقد ظهر له أن جماجم الجراء قد انحسرت عن أمخاخها ، بدليل أن الآثار التي تنطبع عليها من ملاصقتها للمخ قد امحت . فاتساع الجمجمة الناجم عن تقلص عضلات الصدغ وعظامه لا يتبعه إذن اتساع في حجم المخ أو نشأة مراكز جديدة كما زعم دارون

وكثيراً ما تتسع الجمجمة عند بعض الناس اتساعاً غير عادي لسبب آخر غير تقلص عضلات الصدغ وعظامه ، ولكن لم يحدث مطلقاً في حالة من حالات هذا الاتساع أن زاد حجم المخ أو تغيرت صورته . وعلى العكس من ذلك نمو المخ نفسه ، فإنه يرغم الجمجمة على الاتساع ويشكلها بالشكل الذي يتفق مع نموه . فإن قاومته بأن كان عظم اليافوخ (حيث يلتقي عظم مقدم الرأس بعظم مؤخره ، وهو الذي يكون ليناً في الصبي) قد اشتد قبل أوانه ، تغلب على مقاومتها ، وشق لنفسه طريقاً على أي وجه . فأحياناً يدفعها إلى الأمام فينشأ الشخص بارز الجبهة ؛ وأحياناً يدفعها إلى الخلف فينشأ الشخص أحدب الرأس ؛ وأحياناً يدفعها إلى أعلى فينشأ مُسَنَّم الرأس؛ وأحياناً يدفعها من ناحيتين أو أكثر فينشأ مُدَنَّخ الرأس[1] . وهكذا. فالطريق الطبيعي للارتقاء — إن كان ثمت ارتقاء — هو أن يتسع المخ أولاً وتوجد فيه مراكز لم تكن موجودة من قبل ، ويتبع ذلك اتساع في الجمجمة ، لا أن تتسع الجمجمة أولاً ويتبعها اتساع المخ كما يقول دارون ومن نحا نحوه

على أن الارتقائيين لم يكونوا في حاجة إلى هذه الفروض التعسفية لتعليل نشأة مراكز اللغة بطريقة تتفق مع مبادئهم . فقد كان في إمكانهم أن يذهبوا إلى أن هذه المراكز لم تنشأ من العدم ، بل كانت نتيجة تطور لمراكز قديمة أو لأجزاء من مراكز قديمة . كان في إمكانهم مثلاً أن يذهبوا إلى أن جزءاً من مراكز الحركة الخاصة بعضلات الوجه Centre des mouvements des muscles de la face قد تخصص في حركة أعضاء النطق ، ومع تقادم الزمن وكثرة مزاولته لهذه الوظيفة تشكل بالشكل الذي يتفق معها واستقل عن غيره وأخذ يسير في سبيل الارتقاء حتى وصل إلى الحالة التي هو عليها الآن ، كان في إمكانهم أن يقولوا هذا بصدد مراكز الكلام ويقولوا مثله بصدد المراكز اللغوية الأخرى ، فيتقوا معظم ما وجه إلى فروضهم السابقة من اعتراضات ، ويكون مذهبهم أدنى إلى القبول وأكثر اتفاقاً مع حقائق الأمور ، وذلك أنه بالموازنة بين مخ الإنسان وأمخاخ الحيوانات القريبة منه ، يظهر أن مراكزه اللغوية — على فرض أنها لم تكن موجودة في أصل خلقته — كانت نتيجة تشكيل جديد لبعض المراكز الموجودة في أمخاخ هذه الحيوانات

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السوربون

(1) « رجل مدنخ الرأس أي في رأسه ارتفاع وانخفاض » المخصص لابن سيده جزء أول ص٦٢ ، والعامة تقول شخص برأسين أو برءوس

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأزهر والحياة العامة

للأستاذ محمود الشرقاوي

كان مفيداً قيِّماً ذلك الحديث الذى أفاض به صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى « للرسالة » منذ أسبوعين ، واستطاع صاحب « الرسالة » أن يركّزه وأن يلخصه لقرائها فى بيان واضح وفكر واضح

وكان قيما ومفيداً ما كتبه صاحب « الرسالة » فى مقاليه عن الأزهر ورجاله وأبنائه وحاله فى القديم والجديد وما نرجوه ويرجو منه المسلمون فى العصر الحديث

وقد أثار حديث الأستاذ الأكبر وأثار مقالا الأستاذ الزيات مثاراً من المقالات والمناقشات فى الرسالة وفى غيرها من الصحف، وكان بعض ما نشر من ذلك فيه كثير من الشطط

وكان من أقوم ما كتب عن ذلك ما نشره صديقنا الدكتور زكى مبارك فى مجلة أسبوعية على طريقته من الصيال

وقد حرك فى نفسى حديث الأستاذ الأكبر ومقالا الرسالة وما نشر بسببهما من الآراء والمناقشات شوقاً لأن أكتب بعض الملاحظات عسى أن يجد فيها الأستاذ الكبير صاحب الرسالة شيئاً من الحق وشيئاً من الإفادة

ونحن الذين تعلمنا فى الأزهر وقضينا فيه خير الأشطر من شبابنا لا نفتأ نشعر بالحنين إليه ونديم التفكير فيه ، مهما تباعد بيننا وبينه الأيام

* * *

يكتب الكاتبون ويقول القائلون إن الأزهر الحاضر متأخر متخلف عن عصره وعن الحياة الجديدة فى العالم، وأنه قديم فى الفهم قديم فى التفكير . ويكتب الكاتبون ويقول القائلون يطلبون أن يخرج الأزهر علماء كرجال الدين فى أوربا ، ثقافة ذهن ، واستنارة فكر ، وسعة عقل، ومرونة تفكير ، ولباقة أداء ودعوة، وأن يكون طلبته على شاكلة ما يكون أندادهم فى بلاد الغرب تهيؤاً واستعداداً

وهؤلاء الذين يقولون ذلك لا شك فى أنهم مخلصون فى أمانيهم ، ولا شك فى أن الأزهر لن يقوم بما يجب عليه فى حياة مصر وتقدمها ، وفى حياة الشرق وتقدمه ، ولن يساهم بنصيبه وقسطه فى توجيه الحياة الروحية والدينية والخلقية فى الشرق [وأوشك أن أقول فى العالم كله] — إلا إذا كان علماؤه كما يكتب الكاتبون ، ويتمنى المتمنون ، وكان طلبته كما يكتب الكاتبون ويتمنى المتمنون

وقد روى عالم من أكبر علماء الأزهر كلمة للمغفور له الملك فؤاد هى نبراس ما يكتبه هؤلاء ولا نشك فى صوابهم فيه

روى أن الملك فؤاد حدثه بأنه يريد أن يرى علماء الأزهر كأندادهم رجال الدين فى أوربا ، وأن هذه أمنية من أعز أمانيه

ولكن هؤلاء الكاتبين والباحثين ينسون أن الأمنية شىء والحقيقة شىء . ويفوتهم أن المشتهى المرغوب والمتمنى المطلوب شىء والأمر الواقع الذى لا مناص منه شىء

فالأزهر ليس كجامعة للاهوت فى أوربا ، وعلماء الأزهر ليسوا كرجال الدين فيها ، وطلبته ليسو كطلبة الجامعات أو الدراسات الدينية فيها . ولكن هذا لا دليل فيه على أن الأزهر رجعى وأنه قديم فى الفهم قديم فى التفكير

فإن هؤلاء الباحثين يقيسون الأزهر ورجاله وأهله على قياس أشباههم فى بلاد الغرب، ويقارنون بينهم وبين رجال الدين فيه ؛ ولا شك فى أن هـذا القياس شطط وأنه بعيد عن الحكمة وعن الصواب

فالحياة المصرية والحياة الشرقية كلها بعيدة عن الحياة الغربية: الحياة العقلية والحياة الثقافية والحياة الأدبية وكل نوع ولون من أنواع الحيوات وألوانها وشكولها ، شتان بين الشرق والغرب فيها

ومن الشطط والبعد عن الإنصاف أن نفصل بين الأزهر وبين أنواع الحياة المصرية والشرقية وألوانها وأن نقارن بينه وحده وبين أوربا . بل الإنصاف يقتضينا أن نقارن بين الأزهر وبين غيره فى مصر ، وأن نوازن بين الحياة العقلية والحياة الذهنية والحياة الأدبية فيه، وبين هذه الحيوات فى مصر

والذين يقيمون الميزان بين الأزهر وبين أوربا نقول لهم : هل يرضيكم أن نقيم الميزان بين الجامعة المصرية وجامعات أوربا ؟

وأن نقيم الميزان بين المدارس في مصر والمدارس في أوربا ؟ وأن نقيم الميزان بين الحياة الأدبية والذهنية والثقافية في مصر في أي مظهر من مظاهر نشاطها وبين نظائرها وأشباهها في أوربا ؟

ليقل لنا الدكتور زكي مبارك ، وقد خبر الجامعة والتعليم في المدارس ويعرف كلمة الحق : هل رضي عن شيء من مظاهر الحياة العقلية والأدبية والتعليمية في هذه أو تلك ؟ وليقم لنا الميزان بين هذه الجامعة وهذه المدارس ، أو ليقم لنا رجال الجامعة أنفسهم والناقمون عنها والمستطيلون بهـا الميزان بين الجامعة المصرية والمدارس المصرية وبين جامعات أوربا ومدارسها ، ليقيموا لنا ميزان العدل وقسطاس الحق ثم ليدلونا أيها الراجح وأيها المرجوح

فالأزهر يجب أن يحدد مكانه وأن يوزن نشاطه وأن تقوم المقارنة بينه وبين غيره في مصر ، لأنه جزء منها ولا يستطيع أن يسير وحده ولا أن يتقدم وحده ولا أن يسبق في جيش من المتخلفين ، والحياة الاجتماعية كعربة ذات عجلات أربع ، الأزهر واحدة منها ، ولا يمكن أن تسير عجلة من العربة فتسبق ، ولو كان ذلك لما استقامت العربة في سير ولا حركة ، أو هي كالكائن الحي لا يمكن أن يسبق منه عضو عضواً في النماء والحياة ، وإلا كان الكائن الحي كله منتهياً إلى الهلاك والموت أو للتشويه والنقص .

فإذا أقمنا بعد ذلك الميزان بين الأزهر وبين غيره في مصر والشرق ، وإذا وازنا بين الحياة الثقافية والذهنية والتعليمية فيه وبين ذلك كله في غير الأزهر من المعاهد في مصر والشرق ؛ فعند ذلك يستقيم الميزان ولا نكون قد بعدنا عن شريعة الإنصاف ؛ وعند ذلك أيضاً لا نظن أن الأزهر كفته تشيل ، ولا أن كفة غيره تميل ، ولا أن يكون غيره الراجح وأنه المرجوح

ومن الإنصاف أيضاً أن نقارن بين الأزهر الجديد وبين الأزهر في الماضي ، حتى القريب منه ؛ وقد أشار الشيخ الأكبر إلى هـذه الملاحظة في حديثه للرسالة وفي غيره ، وهي مقارنة لا تحتاج إلى كثير من الكلام

ومن العنت أن نهمل التراث الزمني والتقاليد القاسية عند ما نتكلم عن تطور معهد هو بطبيعته ركن الأركان في التقاليد ، بل هو الركيزة التي تثبت فيها الحيـاة العامة كلها فلا تنحرف ولا يجرفها التيار القوي من مغريات التجديد والاندفاع

ولا نريد بعد ذلك أن نقول إن الأزهر عظيم عظيم ، ولا إنه يقوم بواجبه ، ولا إن التفكير فيه والحياة الذهنية فيه والتعليم فيه مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير . لا نقول ذلك ولا شيئاً منه ؛ ولكنا نقول إلى جانب هـذا إن الجامعة المصرية والمدارس الحكومية ، وإن الحياة الذهنية والحياة العقلية والحياة الأدبية في مصر والشرق ، ليست مما تغتبط به النفس وينشرح له الصدر ويبشر بمستقبل الخير ما دام هذا الحال ، ونريد أن نتمنى بعد ذلك ما تمناه الملك فؤاد لرجال الأزهر ومساواتهم بأندادهم رجال الدين في أوربا ، ونزيد على أمانيه التمني بأن تستوي الحياة المصرية كلها والحياة الشرقية ، وأن يتساوى الشعب المصري والشرق بهذه الأمم ذوات السيادة في الغرب ، وأن نكون لهم أنداداً في حياتنا كلها وفي نشاطنا كله

* * *

وفي حديث الأستاذ الأكبر و « تصحيح » صديقنا الدكتور زكي مبارك له ، موضوع آخر نترك الكلام عنه إلى عدد قادم من « الرسالة » فقد طال بنا اليوم الحديث

محمود الشرقاوي
عالم من الأزهر

أحـــدث قاموس

ظهرت الطبعة الجديدة لأحدث قاموس جيب (انجليزي عربي) تأليف الأستاذ محمد طه محمود ، مراعًى فيه الدقة ، وتحري الصواب ، وتنوع الاشتقاق وكثرة الصور التوضيحية

وهو يشتمل على أكبر قدر من المصطلحات العلمية ، والفنية ، والطبية

وهو مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق جيد ، ومجلد تجليداً فخماً ، ويقع في ٤١٦ صفحة ، وثمن النسخة ٨ قروش ، والبريد قرشان

ويطلب من المكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر
ومن المكاتب الشهيرة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



صاحب الديوان المجد

مجد في عمله ، لا يعرف في جده هوادة ؛ فإذا رأيته يقرأ جريدة من الجرائد أو مجلة من المجلات ؛ فمن أعظم التجني عليه أن تحمل عمله هذا على أنه مضيعة للوقت في غير جدوى ، فما هو إلا استجمام لا بد منه لمن يعاني مثل عنائه المتصل ؛ وإذا رأيته يبدأ عمله عند العاشرة أو في منتصف الحادية عشرة ، فاعلم أن ذلك من أثر إجهاده نفسه وتحامله على أعصابه في اليوم السالف ، لا شيء غير ذلك ؛ وإذا رأيته يتزاور عن مكتبه ، فيحرق دخينة في إثر دخينة ، أو يرتشف القهوة في هدوء وسكون ، ويقضي في ذلك ساعة أو بعض ساعة ، فترفق بهذا الجسم الذي أنهكه الجهد ، ولا تأثم فتظن بصاحبه الظنون

وصاحب الديوان هذا لا يطيق أن يرى وجوه الناس ، فإذا أبصر أحدهم مقبلاً ، أحس كأنما يقبل عليه مكروه من مكاره الزمن فيلقاه متأففاً متبرماً ، وإنه ليتمتم حين يراه بألفاظ لا أدري أيسوقها ضد القادم الكريم ، أم ضد الزمن اللئيم الذي وضعه حيث يستقبل هؤلاء الذين يصرفونه عما هو فيه من جد لا يعرف معه هوادة ؟ !

دخلت عليه ذات يوم قبيل العاشرة ، فرأيته لسوء حظي أو لحسن حظي — لست أدري أيهما الصواب — يترك مكتبه ليغادر الحجرة إلى حيث لا أعلم من الحجرات أو من الجهات ؛ فحاولت أن أستوقفه مترفقاً ، فاستمهلني دقيقة واحدة وهو عابس ثم ازور عني في حركة سريعة خيل إلي معها أنه يخشى أن أرجعه بالقوة إلى مكتبه !

ولبثت أنتظره في مقعد تفضل به علي أحد زملائه ، ومرت اللحظات ثقالاً طوالاً ولم يعد ، حتى إذا يئست من رجوعه وهممت بالانصراف رأيته مقبلاً ، وجاء وفتح بعض أدراج مكتبه وأغلقها ولكنه لم يأخذ منها شيئاً ولا وضع شيئاً ، وفعل ذلك دون أن يجود بنظرة علي أو أن يخطر بباله أن أحداً من عباد الله ينتظره لأمر متصل بعمله ولن يؤديه سواه !

واعترضت طريقه إذ رأيته يتأهب للخروج مرة ثانية ، وما التقت أعيننا وانفرجت شفتاي في ابتسامة هادئة عن قولي : من فضلك ... حتى أشاح بوجهه عني مقطباً قائلاً في تبرم وضيق « عن إذنك دقيقة يا أفندم » ... ومضى وإنه لضائق بثقلي وثباتي في موضعي ، وخيل إلي بل لقد أيقنت أنه عقد النية على ألا يكلمني ما دمت هناك كأنه لا مفاوضة عنده هو أيضاً إلا بعد الجلاء !

وصممت من جانبي ألا أنصرف أو يكلمني ، وإن أخذتني الحيرة كيف أحمله ولو على أن يلتفت إلي فضلاً عن أن يحادثني ؛ ولقد كنت أرجح عودته إلا إذا غادر الديوان إلى داره وترك طربوشه حيث كان على مكتبه يحدث كل سائل عنه أنه هنا وأنه قادم بعد دقيقة ، وإن تتابعت في غيابه الدقائق بل والساعات !

وجاء أخيراً فاستوى على كرسيه وفتح دفتراً كبيراً وراح ينظر فيه وعلى وجهه أمارات الجد وأمارات تجاهله وجودي في وقت واحد ثم قطع عليه جده المصمم زميل له فأخبره أن فلاناً وفلاناً من الرؤساء استفهموا عنه ، فأجاب متكلفاً عدم المبالاة أنه ما كان يلعب وأنه هلك من الجري هنا وهناك في « الأرشيف » و « المستخدمين » و « الحسابات » وتحت وفوق باحثاً عن أوراق تتصل بما في يديه من المسائل

وظللت ساكتاً لحظة ، فأقبل شخص بادي الوجاهة ، يطأ أرض الحجرة في صلف وينظر نظرة ذي الجاه ، وفرحت إذ رأيته يتجه إلى صاحب الديوان المجد فيسأله في لهجة الآمر عن مسألة طال به انتظار الإجابة عنها ؛ وتجهم له صاحب الديوان ولم يعبأ به ، ولما تهدده الرجل أن يرفع الأمر إلى رئيسه ، انطلق صاحب الديوان مزمجراً ونهض واقفاً يخبط المكتب بقبضة يده عدة مرات حتى لقد أشفق ذلك الرجل أن تمتد واحدة منها إلى صدره أو إلى بطنه فتراجع قليلاً ، وقد تطايرت الأقلام من مكامنها ، وسال المداد من المحابر ، وتناثرت الأوراق ، وزلزلت الدفاتر ، وخشنت الأصوات في جوانب الحجرة ، والتفت أصحاب الديوان يتفرجون على عاصفة جديدة كم رأوا قبلها من عواصف ؛ وانطلق لسان المجد الثائر بعباراته المألوفة : « يا أفندي انت بتهددني ؟ من فضلك ما تعطلنيش يا أفندي ... أما شيء غريب والله . روح اشتكي زي ما انت عاوز ... هو أنا فراش عندك ؟ الواحد طول النهار هلكان من العمل وجاي حضرتك تقلقنا ؟ »

ولم يكن لي بعد هذا الذي رأيت إلا الجلاء بلا قيد ولا شرط ، وقد أصابني من دوار العاصفة ما زعزع إيماني بقوتي ، ولم لا أقرر الحق فأقول : إني منذ أن رأيت أهاويل الشر في وجه صاحب الديوان قد رضيت من الغنيمة بالإياب ؟

« عين »

في سبيل الأزهر

للأستاذ عبد العزيز محمد عيسى

أعتقد أنى لا أتجاوز الحقيقة حين أقول إن كلمات الأستاذ الزيات تنزل برداً وسلاماً على قلوب المخلصين للأزهر ؛ وإنهم يرون فيها بريقاً من النور يضىء لهم سبيل الإصلاح فيما يبتغون للأزهر من إصلاح

وللرسالة فى الأمة المصرية وفى الشرق الإسلامى جميعاً مكانتها السامية الممتازة التى تجعل لكل ما تعالج من موضوعات أهمية خاصة، لا يستطيع أحد معها ألا يعطيها ما هى حقيقة به من التقدير والعناية

لذلك كانت دعوتها لإصلاح الأزهر جديرة بألا تمر كغيرها من دعوات الإصلاح، وكانت جديرة بأن يتجاوب صداها فى أجواء الأزهر مدوياً عالياً ، فيردد رجاله عارضين صوراً من أدوائه راجين أن تعالج علاجاً ناجعاً ، حتى تنحسر عنه ولا تنتقل عدواها إلى أبنائه الناشئين

الأزهر من غير شك محتاج إلى الإصلاح فى كثير من نواحيه، والأزهريون الآن متطلعون إلى من يداوى ما يحسون به من علل ليست من صنيعهم ولا يد لهم فيها ، وإنما انحدرت إليهم مع الزمن ميراثاً ثقيلاً ؛ وما دامت النفوس مستعدة والنيات خالصة فسيأتى اليوم الذى ينفض فيه الأزهر عن نفسه كل ما يشوه جماله أو يسىء رسالته

وإن من البشائر التى تطمئن على نجاح هذا السعى ونفاذ هذه الدعوة إلى القلوب ، اشتراك الأزهريين أنفسهم فى معالجة هذه العيوب ومحاولة التخلص منها ؛ ولن يقدر أحد على إصلاح الأزهر كما يقدر عليه أبناء الأزهر ؛ فقد حاولت ذلك حكومات فيما مضى فلم يتأت لها ما تأتى لابنه البار « محمد عبده » ولم يقدر أحد على ما قدر عليه فى هذا الشأن مع ما وضع فى سبيله من عراقيل وما أرجف به عليه من ترهات وأكاذيب ؛ لأن دعوة الحق لا بد أن تجد سميعاً ولا بد أن تتغلغل فى النفوس وأن ينصرها — من حيث لا يشعر — أولئك الذين يعملون جاهدين على كيدها والصد عنها ، ودعوات الإصلاح يخدمها خصومها كما يخدمها أنصارها

وها قد أصبح الأزهر يؤمن بمبادئ الأستاذ الإمام ويتتبع مناهجه ، ويدل بذلك حتى صار من فخر الرجل فى الأزهر الآن أن ينتسب إلى الأستاذ الإمام تلميذاً أو مسترشداً أو صديقاً ، بعد أن كان فى حياته هدفاً لسهام الطاعنين ونبال الحاقدين

وفى يد الأزهر الآن فرصة ثمينة لا يسوغ له أن يضيعها أو يهمل استغلالها، هى قيام الإمام الثانى الأستاذ المراغى على رياسته وتوجيهه ، ومن ورائه فى ذلك طائفة من المخلصين للأزهر المقتنعين بفكرة الإصلاح قرأت خطبه وأحاديثه ودرستها دراسة فاحصة ممعنة فاتخذت لنفسها وجهة الخير منها ، وحرصت أن تهتدى إلى طريق النجاح بها . ولست أحب أن أسمى هؤلاء كما سماهم الأستاذ الزيات « شباب المراغى » فإن روح المراغى لم تكن قاصرة على التأثير فى الشباب فحسب ، وإنها لأشد قوة وأبعد أثراً من ذلك ؛ فقد أثرت فعلاً فى شيوخ قد جاوزوا عهد الشباب وخلفوه ، فأجدر بنا أن نسمى هؤلاء وهؤلاء « مدرسة المراغى »

ولسنا نلقى هذا الكلام على عواهنه ، فإن الأستاذ المراغى حينما خطا خطوته الجريئة فى إصلاح بعض القوانين المتصلة بالأحوال الشخصية وقف فى طريقه إذ ذاك كثير من العلماء، وعلى رأسهم عالمان فاضلان ألفا رسالة ذكرا فيها أنه لا يجوز الخروج عن المذاهب الأربعة التى أجمعت عليها الأمة ؛ فهل تدرى أيها القارئ أنهما الآن يعملان عضوين بارزين فى لجنة الأحوال الشخصية التى لا تقف فيما تختار عند المذاهب الأربعة؛ أليس هذا أثراً لروح المراغى واستجابة لرجة الإصلاح التى يستوى عندها الشيب والشباب ؟

هذه المدرسة الصالحة يعلق عليها الأزهر الحديث آمالاً جساماً وتنتظر منها الأمة نهضة قوية تساير نهضتها فى كل نواحى التقدم ؛ تنتظر منها أن تخرج للناس كتباً واضحة الأسلوب جيدة المعنى خالية من التعقيد والغموض ، وأن تفهم الجو المحيط بها فهماً صحيحاً فلا تكتفى بالعيش فى ظلال كتب تمثل عصوراً خلت ، ربما كانت هذه الكتب صالحة لها موفية بحاجتها ، وهى الآن عاجزة عن حل المشاكل التى تعترض الناس فى معاملاتهم ونظم حياتهم ؛ تنتظر منها اشتراكاً فعلياً فى توجيه الثقافة القومية فى البلاد، فى الأحاديث التى تذاع، والمقالات التى تنشر، والمحاضرات التى تلقى، وفى تعليم الشعب وإرشاده بأسلوب لا يجافى روح العصر الذى نعيش فيه؛ فقد مضى عهد الجمود والوقوف عند النصوص من غير مراعاة لروحها وظروف أحوالها والعوامل التى أثرت فيها، تنتظر منها كذلك أن تبين بالعمل لا بالقول أن الشريعة الإسلامية صالحة

إذا شبت الحرب في البحر الأبيض

للأستاذ فوزي الشتوي

خطوة متوقعة

لا تعتبر الخطوة التي اتخذتها الأميرالية البريطانية بإخلاء البحر الأبيض المتوسط من سفنها التجارية خطوة مفاجئة، فقد تنبأ رجال البحرية منذ سنين بأن خطة انجلترا إذا اشتعلت الحرب لن تخرج عن ثلاث وسائل

أولها — إغلاق البحر الأبيض المتوسط إغلاقاً تاماً ومنع الملاحة فيه، على أن تترك بعض السفن الحربية الخفيفة للدفاع عن شواطئ البلاد الموالية للحلفاء

وثانياً — أن تسير الملاحة في طريقها الطبيعي، على أن تقسم حماية طرق الملاحة بين الأسطولين البريطاني والفرنسي، فيتولى الأسطول البريطاني حماية الجزء الشرقي، ويتولى الأسطول الفرنسي حماية الجزء الغربي

وثالثاً — الالتجاء إلى خطة وسط، وهي تقضي بإخلاء البحر الأبيض من الأساطيل التجارية وحدها، مع إغلاق جبل طارق وقنال السويس وعدن في البحر الأحمر، وتوجيه قوات الحلفاء إلى القضاء على القوات المعادية

ويظهر من التدابير التي اتخذتها انجلترا أخيراً أنها ستنفذ إحدى الخطتين الأولى أو الثالثة؛ فإذا طال أمد الحرب أخليت جزيرة مالطة؛ فإن قربها من مواقع إيطاليا الحربية مع صغر مساحتها يجعلها قاعدة جيدة للهجوم

اتفاقات سرية

ونظرة واحدة إلى خريطة البحر الأبيض المتوسط والمواقع الحربية التي تسيطر عليها الدول المتحاربة تبين خطورة الموقف

لكل زمان ومكان حتى ينخلع من أذهان الواهمين ما اعتقدوه من تنافر الدين مع ألوان الحضارة ومجافاته أساليب الرقي العلمي والفكري

إن الأمة تضع الأزهر في مكان القيادة منها، أو هي ترجو ذلك فيه؛ فليعرف الأزهر هذه المنزلة وليحرص عليها، وليعمل على الاحتفاظ بها، ولا يمتعض رجاله من كلمة الحق تقال في صراحة سافرة على منبر عام أو خاص، فإنها إنما تقال بإخلاص لمصلحة الأزهر وخيره، والإبقاء على منزلته ومكانته

إن النفور من دعوة الإصلاح، والهرب من مواجهة العلل وإغماض العين ولى العنق سياسة غير صالحة في هذا العصر، وإنه لا يكفي أن تقنع في نفسك بأنك خير الناس ليعتقد الناس فيك هذا، ولكن يجب أن تبرهن لهم عملياً على ذلك وتشعرهم بأنك تحس بإحساسهم وتفكر في حل مشكلاتهم، ولعلنا ننتفع بما أرشد إليه أستاذنا الأكبر في خطابه الأخير من قوله: « إني أرحب بالنقد البريء، وأنصح لكم ألا تضيق به صدوركم، فإن كان حقاً فاشكروا الناقد واعملوا على الخلاص من الخصال التي كانت سبب النقد، وإن كان غير حق فادفعوه بالحسنى وأظهروا براءتكم مما وجه إليكم »

لقد كان للأزهر فيما مضى موقف سلبي فيما يتصل بتنظيم الفقه وتحويره وتعديله للانتفاع به في القانون والتشريع؛ وما زال هذا الموقف السلبي وصمة في تاريخ الأزهر، تغمض العين منها على قذى موجع، وتنطوي الأحشاء منها على ألم ممض؛ ولقد كان من أثر هذا الموقف المعيب الذي حرص أصحابه عليه « تورعاً » فيما زعموه أو فيما زعم لهم بعض الناس، أن تحاكم المسلمون إلى غير شريعتهم، وألزموا بغير قوانينهم، وهو ما نأسف له جميعاً؛ فهل يكون موقف العلماء اليوم كموقف أسلافهم بالأمس؟ أو هم مستعدون لإصلاح هذا الخطأ وإقناع الناس بأن الشريعة الإسلامية السمحة غير عاجزة عن مسايرة المدنية في أجلى مظاهرها، وإدراك غاية الإصلاح الاجتماعي وتلبية حاجاته ومطالبه، فيصدروا في فقههم عن هذه الروح التي لا تغفل ما جد للناس من نظم ومعاملات؟

إن اليوم الذي يخرج فيه العلماء للناس بهذا الفقه النافع لهو يوم النصر الذي يتمناه المسلمون جميعاً؛ وهو اليوم الذي يصل فيه الأزهر — كما يقول الأستاذ المراغي — إلى الغاية التي يرجوها من أداء الرسالة الإسلامية على الوجه الملائم لطبيعة العصر وعقلية الناس

وكم نرجو أن يتحقق ذلك في هذا المعهد المبارك لنمحو من الأذهان موقف السلبيين، وليشهد التاريخ أن الأزهر في عصر فاروق غيره في عصر إسماعيل، وأنه على عهد المراغي غيره كذلك على عهود من سبقه من الشيوخ

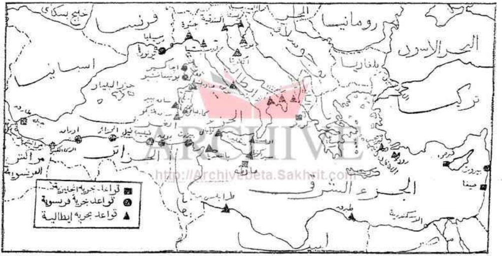
عبد العزيز محمد عيسى
مدرس بمعهد القاهرة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وما يكلفه الصراع لتأمين مواصلاته من تضحيات غالية، فلانجلترا وفرنسا مواقع بحرية كثيرة انتثرت فى أخطر مواقعه ممتدة من شرقه إلى غربه ، ومن جنوبه إلى شماله ، بحيث يتيسر لقوات هذه الجهات التحكم فى جميع طرق الملاحة ، فضلاً عن سيطرة انجلترا على أبوابه فى جبل طارق وفى قنال السويس . أضف إلى ذلك ما يقال عن وجود اتفاقات سرية تضع موانئ الدول المحايدة تحت تصرف الحلفاء

أما إيطاليا فطبيعة موقعها الجغرافى تشطر البحر الأبيض إلى شطرين : الجزء الشرقى والجزء الغربى . والقسم الأخير شديد الخطورة نظراً لكثرة مواقع إيطاليا البحرية عليه ، ولأن شواطئها الأبيض بين شرقه وغربه ، بل يتعدى إلى تهديد خطوط المواصلات بين فرنسا ومستعمراتها فى أفريقيا

وهذه المواصلات هامة جداً فى نظر فرنسا ، لأنها الطريق القصير لنقل قوات المستعمرات إلى فرنسا لتغذية قوات خط ماجينو ، ولم تغفل فرنسا خطورة مواقع القواعد الإيطالية ، فأعدت فى قورسيقا ميناءين خطيرين لها من حصانتهما ما يكفل إفساد الخطط الإيطالية . وقد اشتغل فيهما أمهر المهندسين الفرنسيين ، حتى جعلوهما من أمنع المواقع ؛ وما زالت أسرار دفاعهما وهجومهما سراً محفوظاً فى صدور منشئيهما ؛ ولم تتح زيارة بعض مواقعهما إلا لصحافى واحد لم يخرج من زيارته لهما



تكون جزءاً منه يمتد من ميناء جنوة بطول الساحل الإيطالى حتى جزيرة صقلية إلى جزيرة بنتلاريا التى تقف فى وسط المضيق فتتحكم فى طرق الملاحة

تونس

ولا يضايق هذا الخط إلا الشاطئ الإفريقى فى تونس ، وقد أنشأت عليه فرنسا ميناء بنزرت ؛ ولعل هذا الوضع يوضح خطورة مطالبة إيطاليا بتونس التى تجعل خطها مقفلاً لو تيسر لها الاستيلاء عليه ، ويساعد هذا الخط المواقع البحرية التى أنشئت على جزيرة سردينيا الإيطالية ، فلا يقتصر تهديده على مواصلات البحر

إلا ببعض معلومات زهيدة وصور شائعة .

ولا يسع الباحث أن يتجاهل موقف أسبانيا فى هذا الصراع فإن حكومتها الحالية وليدة الأطماع الدكتاتورية فى إيطاليا وألمانيا ولها جزر البااليار التى قيل أثناء الحرب الأهلية الأسبانية إن إيطاليا أعدتها لقطع مواصلات فرنسا مع مستعمراتها ؛ فإذا انحازت إلى جانب الدكتاتورية ، فإن الخطر يتضخم ، على أنه لن يحد من نشاط الحلفاء ، فيسهل تحويل طرق الملاحة إلى المحيط . ولن تستطيع القوات المعادية أن تقترب من الشواطئ الإفريقية لخطورة المواقع البحرية التى أنشئت عليها بطول الساحل من المرسى الكبير إلى بنزرت

الحصر الاقتصادي

ولا شك أن الحلفاء سيتخذون إقفال البحر الأبيض وسيلتهم لتجثو الدول المادية على ركبتيها ؛ وأول نتائج هذا الإقفال عزل إيطاليا عن مستعمراتها في شرق أفريقيا وفي شمالها ؛ وبهذا الحصر تخسر إيطاليا ٨٦٪ من ملاحتها خسارة لا يمكن الاستعاضة عنها، لأنها لا تملك شواطئ على غير البحر الأبيض ، بينما تتمتع فرنسا بشواطئها على خليج بسكاي ، وعلى بحر الشمال

وعدد البواخر التجارية التي تصل أو تغادر انجلترا يومياً ٨١٥ سفينة، متوسط حمولة كل منها ثلاثة آلاف طن يخترق منها البحر الأبيض ٥٧ سفينة فقط يحول طريقها إلى رأس الرجاء الصالح . وتخسر فرنسا ٢٠٪ من بترولها الذي تستورده من العراق ، ولكن خسارة إيطاليا في هذا المادة الأساسية للحرب خسارة فادحة . فهي تستورد من العراق ٧٠٪ من البترول الذي تستهلكه وهو يرد إليها عن طريق جزئه الشرقي ومركزها فيه أضعف من مركزها في الجزء الغربي ، فليس لها فيه إلا خط مشاغب يبدأ من جزيرة ليروش في جزر الدودكانيز ، وينتهي في طبرق . وقد أعدت هذه الموانى لتكون قواعد جوية للطائرات وقواعد بحرية للغواصات

ولكن هذين الموقعين مهددان بمواقع الحلفاء وخصوصاً من جزيرة قبرص ، التي فاقت جزر الدودكانيز في صلاحيتها للاستعدادات العسكرية من مطارات برية وبحرية ومن قواعد للأساطيل البحرية . وهي لا تبعد عن جزر الدودكانيز إلا ٢٢٠ ميلاً تقطعها قاذفات القنابل في أقل من ساعة

قبرص والإسكندرية

ولميناء حيفا أهمية خاصة في نظر الحلفاء ، ففيها تنتهي أنابيب البترول العراق ، ولكن طبيعة أرضها لم تعدها لتكون ميناء حربياً جيداً . فاتخذت الاحتياطات للدفاع عنها من قبرص والأسكندرية فبعدها عنها قصير ، وهي تمثل الزاوية الثالثة من مثلث ضلعه من قبرص إلى الأسكندرية يواجه الخطر الأجنبي .

وإذا نشبت الحرب فإنه ينتظر أن تصبح الإسكندرية قاعدة الأسطول البريطاني ، فإن جزيرة مالطة لا تصلح في رأي الخبراء البحريين لحرب طويلة الأمد ، وإن كانت في أول الحرب تتخذ كقاعدة خطيرة للهجوم على مواقع الدول المادية ، فهي لا تبعد عن صقلية إلا عشرين دقيقة بالطائرات . وأكبر عيوبها ضيق مينائها مما لا يساعد على الحركات البحرية

ويختلف رجال البحر ورجال السياسة إزاء إخلاء هذه الجزيرة، فيدعي فريق أن إخلاءها يحط من هيبة انجلترا في نظر حلفائها ، ويرى الفريق الآخر أن إخلاءها هو الخطوة الأولى لنصر محقق ، وخصوصاً إذا تم هذا الإخلاء من بدء الصراع ، لأن التجاء الأسطول إليها يجعله في مركز حرج ويعرضه للجهات المادية، ويرون الاستعاضة عنها بميناء الإسكندرية التي تعتبر أصلح ، ولا سيما بعد التحصينات التي أضيفت إليها .

كورفو والأدرياتيك

وقد يظن البعض أن بحر الإدرياتيك يصبح بحيرة إيطاليا الحصينة ، وخصوصاً بعد ما استولت على ألبانيا ، فقبضت بذلك على مدخله من الجانبين ، ولكنه يقال إنه توجد اتفاقات سرية مع يوجوسلافيا واليونان تقضي بوضع موانيهما تحت تصرف أساطيل الحلفاء ، ومعنى ذلك سهولة مهاجمة سواحل إيطاليا المكشوفة من الغرب، كما يسهل على موانى فرنسا مهاجمة شواطئها الشرقية من تولون ومرسيليا وأجاكسيو وغيرها . أضف إلى ذلك وجود جزيرة كورفو القريبة من هذا المدخل، وبواسطتها يسهل حصر أسطول الإدرياتيك الإيطالي

ويجمع الرجال العسكريون على أن دخول إيطاليا الحرب يفتح الطريق أمام قوات الحلفاء لمواجهة قوات ألمانيا، سواء من إيطاليا أو من يوجوسلافيا ، إذ يهاجمون النمسا من المقاطعة المعروفة باسم سلوفانيا ، وحصون ألمانيا من ناحيتها أضعف منها في أي مكان آخر . أضف إلى ذلك أنه يتيسر لهم جعل حصارهم الاقتصادي فعالاً ؛ فإن إيطاليا ودول البلقان هي أكبر ممول لألمانيا ، والغالب أن يجر دخول إيطاليا الحرب إلى حرب عامة تحرم المحور من خاماته سواء كانت حربية أم مدنية فتجوع بطون الرجال، ويبطل عمل الأدوات من مدافع وطائرات ومدرعات

فوزي الشتري
بكالوريوس في الصحافة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ريفية!

عَرَّافَةُ الزَّهْرِ ...

[السنبلة]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

سَمِعْتُ مِنْ سُنْبُلَةِ الْقَمْحِ
أُنْشُودَةً تَبْكِي عَلَى السَّفْحِ
لاَ دَمْعُهَا دَمْعِي ! وَلاَ نَوْحِي
مِمَّا أَذَابَتْ فِيهِ حُزْنَ الْحُقُولْ
وَأَتْرَعَتْهُ مِنْ شُجُونِ الْأَصِيلْ
فَغَابَ فِي أَوْتَارِهَا وَانْطَوَى
حَفِيفَ أَحْلاَمٍ بِوَادِي الْهَوَى
اسْتَلَّ نَارَ الشَّوْقِ مِنْ جُرْحِي وَبَعْثَرَ الْآهَاتِ فَوْقَ السُّهُولْ!

* * *

فَقُلْتُ : يَا مَخْضُوبَةَ الرَّأْسِ
بِذَائِبٍ مِنْ وَجْنَةِ الشَّمْسِ
يَا خَمْرَةً مَخْبُولَةَ الْكَأْسِ
دَارَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِعَذْبِ الرَّحِيقْ
وَخَلَّفَتْ عَاصِرَهَا فِي الطَّرِيقْ !
عَلاَمَ تَبْكِينَ ؟ أَلِلْبَائِسِ ...
غَارِسِكِ الْمُسْتَضْعَفِ التَّاعِسِ ؟
أَمْ قَدْ نَقَلْتِ الشَّجْوَ عَنْ نَفْسِي وَشَجْوُهَا كَالْبَحْرِ طَامٍ عَمِيقْ!

* * *

قَالَتْ وَلَمْ تَسْمَعْ صَدَى شِعْرِي :
إِنِّي هُنَا عَرَّافَةُ الزَّهْرِ
أَبْحَثُ فِي الْكُثْبَانِ عَنْ سِرِّ
أَشْقَتْ بِهِ الْفَلاَّحَ كَفُّ الْغُيُوبْ
وَهَا أَنَا يَطْوِي حَيَاتِي الْمَشِيبْ
وَلَمْ أَزَلْ أَبْحَثُ عَنْ حِكْمَتِهْ !
عَلاَمَ بَارِي الْخُلْدِ فِي جَنَّتِهْ
يَأْبِي لَهَا عُرْيَانَ فِي الْفَجْرِ وَيَرْتَدِي الْأَكْفَانَ عِنْدَ الْمَغِيبْ

سمفونية شعرية

مع الماضي ...

إننى أحلم ، وحلمى هو الماضى ...

لا زلت أذكرك ووراءك موسيقى آتية من مكان لا أراه ... أدواح متباعدة ، وأرض مخضوضرة . وليس هناك إلا أنا وهذه الموسيقى ، وخيالك بارزاً من الماضى إلىّ !

أين ليالينا والظلام ...

إن صدرك ما زال يضطرب ، والهواء البارد يرطب وجهك وعنقك ؛ وصوتك الخافت اللاهث يردد أنشودة الحب فى الليل

إننى أحلم وحلمى هو الماضى

لقد عشنا معاً ، أياماً وليالى ...

كنت معى : شعرك المرسل يرف على ، ويداك الدقيقتان تبحثان عن لا شىء

آ ....

رأيتك فى ثوبك الأبيض ذات أمسية بعيدة ؛ وكنت صامتة مجهدة ، وكان فى صمتك نداء يوم مقبل

وجاء اليوم بطيئاً كخطى العذارى . وكنت لا تتكلمين، فأخذت بيدك ومررنا جنباً إلى جنب حيث لا أدرى . ولم أسألك إلى أين . لقد كنت حالماً أسبح خلف الضباب . إلى أين كنت ذاهبة يا ساحرة ؟ كنت مشغولاً بك عن كل شىء

جلسنا نسترجع حلماً حلمناه منذ أزمان

وتحت المصباح الخامد وصدرك إلىّ سألتك : أتحبيننى ؟

فقلت : نعم

وفى أذنىّ المفعمتين بألحان الغاب وأنات السواقى ، استطاعت كلمتك أن تحيا هادئة واضحة كماء البحيرة وسط الشجر الألَفّ

«م . وهبة»



نجوى الرافعي

أيها العزيز !

« في القلب تعيش الأرواح الحبيبة الخالدة التي لا تَفنَى
وفي القلب تُحفَر القبورُ العزيزة التي لا تُنسَى »

هكذا قلت[1] « وعواطفي تشيّع الميت الحبيب مطرقة صامتة » واليوم ماذا أقول ؟ أمَا إنك لتعلم – أيها الحبيب – أن الذي بيني وبينك دنيا تمشي الأحزان في أرجائها نائحة باكية ... لستُ أكفر بأنعم الله عليّ أو عليكَ ... ، كلا ، كلا ! ! لقد ذهبتَ إلى ربك راضياً مرضياً فرحاً بلقائه ، مؤمناً بما زيّن في قلبك من الإيمان ، وبقيتُ أنا لأبحث عن أحبابي بعدَك ، ... لأفقد لذّة المعرفة التي يفيض فيضها من الصداقة والحب ، ... لأتلدّدَ ها هنا وها هنا حائراً أنظر بمن أثق ، ... لأجدَ حرّةَ القلب وكَمَد الرُّوح وألمَ الفكر من حبي وصداقتي ، ... لأسير في أودية من الأحزان بعيدة : أمشي وحدي ، وأبكي وحدي ، وأتألمُ وحدي ... لا أجدُ من أنفُضُ إليه سرّ أحزاني ، ...

ذهبتَ وبقيتُ ... لأتعلّم كيف أنافق بصداقتي بعضَ النفاق لأنهم يريدون ذلك ، ... لأُجيد مهنة الكذب على القلب لأنهم يجيدون ذلك ، ... لأتعلّم كيف أنظر في عيونهم بعينين لئيمتين يلتبس في شعاعهما الحب والبغض ، لأنه هو الشعاع الذي يتعاملون به في مودّاتهم ، ... لأفنِيَ بقائي في معانيهم المتوحشة إذ كانوا هكذا يتعايشون ، ... لأحطّم بيديّ بنيان الله الذي أمرَنا بحياطته ، وأتعبّد معهم للأوثان البغيضة الدميمة التي أنشأتها أيديهم المدنسة القذرة ، ... لأجنِيَ الثمار المرّة التي لا تحلو أبداً ، ولكنهم يقولون لي : هذا ثمرٌ حلوٌ ، فلماذا لا تأكل كما يأكل الناس ؟ ...

ذهبتَ – أيها الحبيب – وبقيتُ ... ، بقيتُ في الحياة التي أولها لذةٌ وآخرها لذعٌ كأحرّ ما يكون الجمرُ حين يتوهج ، بقيتُ للحياة التي تريدُ أن تسلُبَ القلبَ براءةَ الطفولة لتملأه إثماً وخداعاً وشهوةً ... بقيتُ على الحياة في الأرض التي تميدُ وترجفُ وتحتدمُ مَن تحتي ، لأنها تنكر الإيمان الذي يمد بسبب إلى السماء ... بقيتُ بقاءَ حبة القمح في رمال الصحراء المجْدبة لا أجدُ مائي ولا تربتي . . . ولا من يزرعُني . . .

شدّ ما اختلفتْ عليّ أحداثُ الحياةِ من بعدِكَ أيها الحبيب !

كنتُ أشكو إليكَ ما ألاقي من ظمأ الروح الهائمة ، وهي تطوف بحسراتها على ينابيع الحياة لا تنتهي ولا تستطيع أن تَرِدَ ... كنتُ أبثُّك أحزاني وهي جالسةٌ توقِد النارَ على نفسي وتؤرّثها بأفكاري القلقة التي لا تهدأ ولا تنقطع ... كنتُ أشكو إليك آلامَ الشّوكِ الذي تنبِتُه في قلبيَ الشكوكُ العاملةُ الناصبةُ التي جعلتْ همّها تعذيبي بالحيرةِ والخوفِ والحرمان ... والحقيقةِ المؤلمة أيضاً ... كنتُ أجدُكَ حين ينبغي أن أجدَك ، لأقول لك ما يجبُ عليّ أن أقول ...

شدّ ما اختلفتْ عليّ أحداثُ الحياة من بعدك أيها الحبيب !

وها أنذا أريدُ أن أجدَ بعدَكَ من أضعُ في يديه الرفيقتين هذه الجروحَ الداميةَ النابضةَ التي أسمّيها قلبي ... أريدُ أن أضعَ أفكاريَ التائهة في بيداء الظنون المقفرة ، بحيثُ تجدُ مَن يتولى أمر إرشادها إلى روضة اليقين الناضرة ... أريدُ أن أجدَ ملجئي المؤمنَ حينَ تطاردُني من الظنّ صعاليكُه الكافرة ... أريدُ أن أعرفَ لذّة الصداقة والحبّ حين لا أجدُ من الحياة إلاّ آلامَ صداقتي وحبي .. أريدُ ... أريدُ ! ... أريدُ مَنْ أقول له : ها أنذا بعذابي وضعفي وخضوعي ؛ فيقول : وها أنذا بصبري وقوّتي وحبي لك ... أريدُ من أقولُ له : هذه جروحي التي تنفثُ الدمَ ، لا ترقأ ولا تستريحُ ولا تبرأُ إلاّ على وحي من دمِها ؛ فيقول لي : وهذا طِبِّي الذي يحسمُ هذا الدم لتستريحَ وتبرأ من ألم النزيف ، يا بُنيّ ... !

(يا بني ...) ، هذه طفولتي ، أريد من يحنو عليّ بها حنو الأم على صغيرها الذي هو كل أشواقها الرقيقة من قلب نبيل رقيق ... (يا بني ...) ، هذه طفولتي ، أريد من يمسح بها أحزاني التي حيّرت بصري لأعرف من بعد طريق رجولتي التي تريد أن تعمل وأن تسير وأن تصل إلى سر أشواقها البعيدة الجميلة ... (يا بني ...) ، هذه طفولتي ، أريد من يعرف أني طفل وديع حين أؤوب من

(١) الرسالة : عدد (٢٠٢) في ١٧ مايو ١٩٣٧

كدى وكدحى ، فيتلقانى بين ذراعيه إلى قلبه لأشعر بحنان من الروح بطئ غلتى ، ويرسل فى أعصابى ريها من الحب ، الحب الذى هو فجر الحياة بنعومته ورقته وطهره ، الحب الذى يرد القلب المكدود الظامى زهرة تتفتح فى جو من النور والندى والشباب ... (يا بنى) من يقولها لى يضع فى نبض أحرفها نبض الحب ...

أين أنت أيها الحبيب ؟ كنتَ أخى وصديقى ومن أستودعه سر قلبي المعذب فى تنور الحياة الموحشة التى يضطرم جوها بالصمت المتوهج والوحدة المستمرة ... كنت أخى وصديقى ، وأنا أبيد كما تبيد الأيام والليالى فى كهوف الحياة الدنيا ... كنت أخى وصديقى ، وعواطفى تزأر وتجأر فى باطنى كأنها وحش جريح متألم ثائر لا يرى مَن جرحه لينتقم ... فالآن وقد جددت الدنيا أساليب تعذيبي عذاباً ضعفاً من الآلام ... الآن وقد أوجدتنى الحياة ما أريده ، ثم وضعت بينى وبينه سداً يصف ما وراءه من أشواق ويقف دونى فلا أنفذ منه ... الآن وأنا أشتمل وأتقانى من جميع نواحى ... الآن وأنا أتوثب فى قيود مرخاة تمنحنى الحركة وتمنعنى دون الغاية ... الآن وأنا أمزق جو حياتى بزئيرى وأنيابى ومخالبى ، وأحرقه بوجدى ولوعتى واشتياقى ...

الآن أين أنت أيها الحبيب ؟ يا أخى وصديقى

انظر إلىّ — أيها الحبيب — من وراء هذه الأسوار المنيعة التى تفصل بين الحياة والموت ... الأسوار التى تمشى إليها الحياة كلها ساعة بعد ساعة دائبة ماضية لا تقف ، فإذا بلغتها ابتلعتها من حيث لا تشعر ولا تتوقعُ ... انظر إلىّ — أيها الحبيب — وتكلَّم بكلامٍ من شعاع مضئ محرّ يفهمُنى حقيقتى الحية ، ويضئ لعينى هذه الظلمات التى تمترك بين يدى فى مد عينى ... انظر إلىّ — أيها الحبيب — واسكُب فى قلبى ورُوحى حقيقة الإيمان الحىّ الذي لا يموت ... انظرْ إلىّ واصحبْنى فأنا الذى لا يصاحبُ الأحياء من الناس ، لأنهم لا يعرفون معنى الحياة إلا فائدة تلد فائدة ، كما يلد بعضهم بعضاً فى مَشيمَة من الكره والعنتِ وآلام المخاضِ وأمشاجٍ من الدم يشْخَب من حولها ويتضرَّجُ ويقيحُ بعضُه فى بعض

ولكن ... ولكن ما أكذب النّفسَ على النفْس ! أنتَ هناك بحقيقتك الخالدة التى تحيا بأمر الله فى جو السماء ، وأنا هنا بحقيقتى الفانية التى تموت يوماً بعد يوم بأمر الله فى جو هذه الأرض ... أنتَ هناكَ وأنا هنا ، وبينهما البرزخ الذى لا تجوزه الروح إلا بعد أن تتطهر من أدران هذا الدم المتجسِّد فى أجلاد الإنسان ... أنت هناك وأنا هنا ، فكيف أنخلعُ من تروتى التى أنا بها أنا ؟ كيف أنخلع من جسدى ؟ ومع ذلك ...

« فى القلب تعيشُ الأرواح الحبيبة الخالدة التى لا تفنى
وفى القلب ... تحْفَر القُبُور العزيزة التى لا تُنسى
لم أفقِدْك ـ أيها الحبيب ـ ولكنى فَقدتُ نفسى »

ذكرى الرافعى

لستُ أدرى ! فأنا أذكر الرافعىّ . أعرفهُ أديباً شاعراً فيلسوفاً ... رجلاً قد انصرف بهمّه إلى الأدب والفكر يجيدُ فيهما ما يجيد ، ولكنى حين أذكره لا أجده فى نفسى إلا الصديق وحده . لم أعاشره طويلاً حتى أقول إنى أرعى للناس خبره وأعرف عنه ومن أمره ما لا يعرفه غيرى ، كلا لست أدعى ما ليس عندى ولكنى كنت أبداً معه بحبى له وصداقتى ، وكان هو أبداً يحوطنى بروحه فى أنفاس من حنانه وحبه . كنا روحين تناظرنا من بعيد وتناسمنا من قريب فعرفته وعرفنى . كان بيننا سرٌّ جامعٌ لا أدرى كيف أصفه ، ولكن كان من يعرفنى ويعرفه يجد آثاره ويرى من بعض بيناته ما لا أحبُّ أن أحدّثَ به . ومع ذلك فأنا أقصر فى حقه ما لم يقصّر أحد ممن توجبُ عليه الصداقةُ بعض واجباتها ، ولم يكن ذلك ، لأنى لا أريد ، بل لأنى لا أستطيع ولا أطيقُ . فما زلتُ كلما ذكرتُ الرافعى — وقد مضت سنوات — أجد لذعةَ حزْنٍ فى قلبى ترسلُ آلامها فى كلّ سابحةٍ من دَمى

ولكن الله لم يُخْلِ حقَّ الرافعى من رُجلٍ يقوم عليه ويُحسنُ النظر فيه ، فهيأ له الأخ « محمد سعيد العريان » يردُّ — بوفائه لذكرى الرافعى — كل ما وجب على أصدقاء الرافعى وأبنائه وتلامذته والمتّبعيه . فقد بادر « سعيد » بعد وفاة الرافعى ، فأنشأ يحدّث الناس بأخباره ما دق منها وما جلّ ، ويضع بين أيدى الأدباء أكثر العوامل التى يتكوّن منها تاريخ الرافعى ، والتى كانت تعمل فى إنشاء أدبه وتوجيه بيانِه . وفتح « الزيات » باب القول فى الرافعى له وعليه حتى اجتمعتْ من ذلك طائفةٌ من القول صالحةٌ لدراسة أدب الرافعىّ دراسة جيّدة لمن ينصبُ نفسهُ لها . ولكن الأخ « سعيد » لم يرض أن يقنع بما كتب

هو عن الرافعي وجمعه في كتابه الذي طبعه بعد وسماه « حياة الرافعي » ، فدأب على إظهار ما لم يظهر من آثار الرافعي قديمها وحديثها ، وقد كان آخر جهد بذله في ذلك سعيه لإنقاذ مؤلفات الرافعي كلها من الضياع . فانتدب لجمعها وتصحيحها ومراجعتها وطبعها بعد ذلك سلسلة واحدة تقوم بنشرها « المكتبة التجارية » وقد كاد يفرغ من طبع أكثرها ، وأنا أعلم أن بين يديه الآن كتاباً من كتب الرافعي التي لم يتمها وكان أصولاً مبعثرة رديئة الخط كثيرة الاضطراب ، وهي أصول الجزء الثالث من كتابه الجليل «تاريخ آداب العرب» ، واستخراج هذا الجزء وحده دون سائر كتب الرافعي بعد عملاً عظيما ووفاء نبيلاً لرجل هو كسائر الأدباء : حياته حياة أدبه ، فإذا مات لم يجد في هذا الشرق الغافل من ينفخ الحياة في آثاره الأدبية مرة أخرى

إن هذا التراث الذي خلفه الرافعي للأدب العربي ، قد جعله الله أمانة بين يدى « سعيد » فهو يؤدى اليوم إلى الناس هذه الأمانة وافية كاملة لم ينتقص منها شيء — إلا شيئاً يعجزه أن يهتدى إليه أو يقع عليه ، وغداً يجد الناس بين أيديهم كل ما كتبه الرافعي حاضراً لم يضيع شيء منه وكذلك يجد من يريد سبيله إلى معرفة الرافعي من قريب وتقديره والحكم إما له وإما عليه

مصر المريضة

ألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل بك ، أستاذ علم الصحة بكلية الطب ، في المؤتمر الحادى عشر للمجمع المصرى للثقافة العلمي ـ محاضرة هي تصوير للآلام التي تعانيها الصحة في مصر ، وتمثيل للحقائق المؤلمة المخيفة التي تعمل عملها في هدم البناء الصحى للأبدان المصرية . وقد نشر صديق الأستاذ « فؤاد صروف » قسما من هذه المحاضرة في مقتطف مايو سنة ١٩٤٠ ، فأخذتها وقرأتها وأنا أرجف بالرعب والفزع لما مثل لعيني من تلك الحقائق البشعة الشنيعة ، وهي على بشاعتها وشناعتها متفشية منتشرة تغزو مصر من جميع نواحيها غزواً مهلكا مبيراً ، ثم لا تجد من يرده عنها من الجنود المجندة المقاتلة التي هي كل صناعة الطب وأسباب صناعته

لقد عمد الدكتور الوكيل إلى الإحصاء الصحى في مصر ، فبان منه أن البلاد إذا لم تتدارك أمر الصحة بأوثق العزم وأحكم التدبير وأسرع العمل ، فسوف تنتهي إلى فناء محقق يأكل القوة المصرية كما تأكل النار يبس الهشيم . ونحن في فاتحة عصر رهيب قديداً بالحرب الجتاحة ، تأتى معها الأوبئة والأمراض وتجر في أذيالها أوبئة أخرى وقحطاً ومجاعة — إلا أن يشاء الله — والعالم كله يخشى ويتأهب ويستعد ، فهل عمدتْ مصر إلى جعل الوقاية الصحية تدبيراً ممتداً مع أسوأ الفروض التي يمكن أن توحى بفرضها أوهامنا ومخاوفنا وتشاؤمنا من الأيام المحاربة والأيام التي تلقى عن عواتقها أوزار الحرب بعد أن تأكل القوة بعضها بعضاً في ميادين البغى والقتال ؟

يقول الدكتور الوكيل : « ونحن إذا رجعنا إلى نسبة الوفيات العامة سنة ١٩٣٧ في مصر وثلاثين دولة أخرى في مختلف القارات متدرجين من الأسوإ إلى الأفضل ، اتضح لنا أن مصر في رأس هذه القائمة ؛ ومن هذه البلدان : الهند واليونان وبلغاريا وفلسطين » ... لا ، بل أكثر من ذلك ، وهو أن الإحصاء يدل دلالة قاطعة على أن الأطفال هم ٥٥٫٨ ٪ من مجموع الموتى ، وأن هذه النسبة في صعود متواصل حتى في هذا العهد الذي نحن فيه .. بل انظر إلى الأصل فالدكتور الوكيل يقول : إنا إذا أخذنا الأمراض المتفشية كالبلهارسيا والأنكلستوما والرمد والسل والأمراض العقلية والملاريا والتيفوس والتيفود والدفتريا والانفلونزا الحادة والحمرة وغيرها ، ثم جمعنا بعضها إلى بعض مرضاً مرضاً كانت ما يربو على ٥٠ مليون مرض ، فإذا وزعت هذه الملايين على المصريين أصاب كل شخص ثلاثة أمراض في وقت واحد

وهذه النتيجة المؤلمة قد أفضت إلى هذه الغاية باهتمام القائمين على أمر الصحة والتعليم بالحضر دون الريف ، وبالذى كان من طغيان الجهل واستبداد الفقر بطبقات الشعب التي يتكون منها السواد الأعظم . وقد وضع الدكتور الوكيل مشروعه لمكافحة هذه الحالة ، فهل يمكن أن تكون الوزارات المختصة قد عرفت حق مصر فهبت إلى القيام بواجبها في الدفاع عن البلاد لإنقاذها من براثن هذه الأعداء المتمادية المتحالفة على قتال الروح والحياة في الشعب المصرى ؟ ذلك ظننا ، والله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين .

محمود محمد شاكر



بواطن وظواهر

عندنا فنانون ... ولكن !

للأستاذ عزيز احمد فهمي

٣ — من النقاد

الأستاذ بيرم التونسي :

كل ما يكتبه رائع ، ولكن أروع ما يكتبه هو النقد ، وقد كنت أقرأ النقد للأستاذ بيرم فأحسبه كتبه بعد كراهية عقلية لما ينقده ، واقتناع فكري أو خيالي بأن هذا الأمر الذي ينقده قائم على أخطاء يجب أن تزال حتى لا ينهض عليها من الأخطاء ما يستدعي النقد . فلما لقيت الأستاذ بيرم رأيت فيه أنه يكره بقلبه كراهية التحريم كل هذه الأمور والشخوص التي ينقدها،

وقد يعلم القارئ أن كثيراً جدا من نقد بيرم منصب على الرجال الذين يسميهم « خناشير » تذكيراً بغيضاً بخشونتهم وتبشيعاً لها وانتصاراً منها لرقة الأنوثة ودلالها ... قد يعلم القارئ هذا ...

فهل يعلم القارئ أني رأيت الرجل هكذا حقا يكره الرجال ويستثقل ظلهم ولا يكاد يطيق صحبتهم ، ويمقت من يقول إن فيهم حسناً وإن في عشرتهم راحة . وهو لذلك يفر من الناس فراراً ويستخفي في المشارب العامة في زواياها على نواصي الشوارع المائجة ويجلس مغمض العينين ولكنه يرى . . . وهو يرى من ثقب في إحدى عينيه — لعلها اليمنى — ولا أدري كيف انثقب وإن كنت أراه تجويفاً استدار في ملتقى الجفنين في كل جفن منهما فراغ هو نصف الدائرة ... وكلما مر في الطريق رجال هرب الأستاذ بإنسان عينه من وراء الثقب فلم يرهم ، فإذا مر في الطريق غير الرجال تألق الإنسان من وراء الثقب وارتعد

ومن هذا الثقب يرى الأستاذ بيرم كل شيء ، ولعل هذا هو السر في أنه يرى أبعد وأعمق مما يرى الناس ، فهو كعدسة الميكروسكوب تجمع الأشعة للعين في مستقيم واحد حيزه مجموع وهدفه دقيق ...

وكما أن بصر الأستاذ بيرم مكرسكوب ، فإن بصيرته مكرسكوب أيضاً . . . فضاح لا يغيب عنه إلا ما يشاء الله أن يخفيه وإذا شاء الله أن يخفى على الأستاذ بيرم شيئاً حفز فيه قوة انتباهه ، فيستيقظ في نفسه سوء الظن بما يسمع ويرى ، فيخطئ الحكم ... وسبحان الذي لا يغفل ولا يخطئ

الأستاذ محمد الهمياوي :

أعوذ بالله من غضب الله ومن غضبه . هو صاحب القلم الذي كان سعد زغلول ينتظر قوله فيه أسبوعاً بعد أسبوع ، ليطمئن على كيانه أسبوعاً بعد أسبوع . فكما كان سعد أزهرياً فناناً عبقرياً ؛ فالأستاذ الهمياوي أزهري فنان عبقري ، كانت وقفاته من سعد كوقفات سعد ، وكانت كلماته في سعد من الرواج مثل كلمات سعد ؛ فلعله كان أشد الناس حزناً على وفاة سعد، إذ فقد الهمياوي بوفاته قرينه وضريبه الذي كان يستنبع من زعامته مادة فنه ، والذي كان يستخلص بالبراعة والحدة من كلامه وفعاله أهدافاً لهجومه ونقده . بل لعله كان أشد الناس حباً لسعد وقد كان يبدو للناس أنه أشد الناس مضياً في خصومته وعداوته ، فأنا لا أستطيع أن أتصور فناناً عبقرياً يمقت فناناً عبقرياً ، والنبي كان يطلب للاسلام أن يعزه الله بعمر، فلم يكن سعد أيضاً يكره ناقده

الدكتور طه :

ويا لطول شقائي بالدكتور طه ! الناقد الجبار الذي لم يستطع أن ينقدني أنا ! كنت أنقش وأنا في العباسية الثانوية على أركان كراساتي وكتبي أربعة أسماء ... نقشتها على كل كراسة وعلى كل كتاب هي : « مصر . سعد . طه حسين . سيد درويش »

وكان أساتذة اللغة العربية في العباسية الثانوية ينهونني عن الدكتور طه والكفر ، فكنت أثور وأعرض نفسي لسخطهم وعقابهم ما لم تنقذني شفاعة من أحد الأساتذة الثلاثة المستنيرين الذين كانوا يحبون معي الدكتور طه وهم: محمود مرعي ، ومصطفى السقا ، وأحمد الشايب . وسماني زملائي في الثانوية باسمه من فرط ما كنت أقلده في تفكيره وأسلوبه . وأحسب نفسي لا أزال إلى اليوم مطبوعاً بطابعه . ولما كنت في كلية الآداب كنت أضع

على عيني منظاراً أسود إمعاناً منى فى « الطحسنة » . وفى معهد التربية كان زملائى وبعض أساتذتى يجلسوننى إليهم ويطلبون منى أن أحدثهم أى حديث وأنا الدكتور طه . . . وعند ما كان الأستاذ المهياوى مشرفاً علىّ فى أول عهدى بالكتابة كان يقول لى: إنى أخاف عليك أن تكون نسخة ممسوخة من الدكتور طه .

وعاب علىّ الأستاذ الزيات يوماً أننى أفقد توازنى أحياناً فيما أكتب للرسالة فأضمحل وأذوب ويتبلور من بقاياى بعد ذلك طيف من الدكتور طه يكتب هو ويقول ما يريد

والدكتور طه الذى غزانى هذا الغزو لا أدرى كيف لم يشعر بى ، وكيف لم يعطنى من نفسه ولو عشر ما احتل من نفسى ... كلما أقبلت عليه صدنى ، وكل ما قيل له عنى فيه صدقه ... وإلا فأى شىء كان يبغضه فىّ ... لقد كان من أثر ذلك أنى تابعته بالذى تعلمته منه ... الصد يهجر ، والنكران يخدش

وأين أنا من أستاذى الذى إذا كره أمراً حرض الناس عليه حتى إذا رآهم أجمعوا على كراهيته معه ، عاد هو فكره أن يكون معهم فى إجماعهم فراح يعلن حبه لهذا الأمر ويحرض الناس على حبه حتى يعودوا إلى حبه معه، فيعود هو فيكرهه ويحرضهم على كراهيته ... وهكذا!

٤ — من الفلاسفة

لطفى السيد باشا :

هذا فيلسوف شرد عن نفسه بالفلسفة فلا هو يعرف أنه يعيش فى مصر وإنما هو يحسب أنه يعيش فى أثينا ، ولا هو يعرف أن الزمن دار ودار حتى وصل التاريخ إلى القرن العشرين بعد الميلاد وإنما هو يحسب أن العصر لا يزال عصر سقراط وأرسطو

رشح نفسه يوماً لانتخاب الجمعية التشريعية وقال للناخبين إنه رجل ديمقراطى . فسمع بذلك منافسه الفلاح فقال للناخبين : وأنا رجل مسلم . فسأل الناخبون منافس الباشا : وهل الديمقراطى غير المسلم فقال لهم: الديمقراطى كالماسونى، مبادئه الإخاء والمساواة بين المسلمين والنصارى واليهود ، والرجل والمرأة ، والسيد والخادم والكبير والصغير ، والعالم والجاهل ، والقادر والعاجز ، والسليم والأجرب ... وغير ذلك وذلك أنه يمنح لكل إنسان أن يكون حراً فى حدود القانون ، فالذى لا يصلى حر ، والذى لا يصوم حر ، والذى يسكر حر ، والذى يفعل ويفعل حر ما دام القانون محفوظاً لم يمس ... وقانوننا فى الأصل فرنساوى

وزار لطفى السيد باشا دائرته الانتخابية ، فسأله الناخبون : هل حقاً أنت ديمقراطى ؟ فقال لهم : نعم . فسألوه : أمساواة وإخاء وحرية كالماسون ؟ فقال لهم تماماً ولا فرق ! فسألوه : والمسلم كالمجوسى ؟ فقال لهم : سواء بسواء ! فسألوه : والمرأة كالرجل ، والسكران كالصاحى ؟ فقال لهم : أمام القانون لا كبير ولا صغير .. والسكران ما لم يؤذ أحداً فهو حر فى نفسه ... فقالوا له : عال ... إن فلاناً يتهاون فى الصلاة فلا يؤديها فقال لهم : هو حر ... فقالوا له : إنا نعوذ بالله من (ديمقراطكم) ... لكم دينكم ولنا دين ! ...

وفاز الفلاح منافس الفيلسوف فى الانتخاب . أما الفيلسوف المفكر فإنه لم يفز ، وكان عيبه عند ناخبيه أنه ديمقراطى !

فهل الذى لا يعرف كيف يتفاهم مع ناخبيه فيلسوف ؟

إنه فيلسوف ولكنه لا يعيش فى هذا البلد ولا فى هذا العصر

الأستاذ شهاب :

هو عبد السلام بن حسنين بن شهاب بن أبى شامة البشبيشى . واصل الدراسة فى الأزهر الشريف حتى أشرف على امتحان العالمية فتكاسل عنه . والتحق بفرقة تمثيلية يؤلف لها الأغانى والأناشيد وكان جمهور هذه الفرقة خليطاً من الناس ذوى المشارب المتباينة والأذواق المختلفة ، فكانوا جميعاً يجدون ما يرضون عنه فيما كانوا يسمعون . ثم شارك حلاقاً فى صالون ، لعبا برأس ماله فى « اليانصيب » فلم تصبهما ثروة ، فالتقطه واحد من أصحاب المجلات الأسبوعية كان يدير تجارة إلى جانب المجلة فعمل الأستاذ شهاب فى التجارة وفى المجلة حتى رأى صاحبه يسلمه يوماً لواحد آخر من أصحاب المجلات الأسبوعية ، ولم يعلم أنه باعه له بالمال إلا بعد زمن طويل ، وانتقل من المجلة القديمة إلى المجلة الجديدة يكتب فيها شعراً وزجلاً ونثراً مما يعيه الشعب ويفهمه ويتلذذ به وهو ماكث فى « الإدارة » لا يخرج منها ، يعمل ويأكل وينام على المكتب ... ثم طرأ له أن يخرج يوماً فخرج وغاب فلم يعد ، فدار صاحب المجلة يبحث عنه فى الأقسام والمستشفيات وهو متلهف عليه يقول : يا عالم إنه لا يعرف الطرق ولا الشوارع ، ولكنه كان قد عرف الطرق والشوارع ومن بينها شارع الأمير قدادار ، وهو الطريق إلى دار الهلال التى يعمل فيها الآن

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

محرراً لإحدى المجلات التى تصدرها ، يكتبها بعد أن يجمع له المندوبون معلوماتهم ، من أولها إلى آخرها

وهو أزهد من رأيت فى الجاه والشهرة ، وأقدر من رأيت فى الحكم على النفوس ، وأقوى من رأيت فى إقامة الحق إذا أراد إقامته ، وفى إزهاقه إذا أراد إزهاقه ، وأشد من رأيت استسهالاً للعبث بمعقول الناس ، فهو يبدأ يقص عليك القصة ، فلا تلبث بعد أن يقطع معك مرحلة طويلة فيها أن تفيق فتجد نفسك قد سمعت كلاماً كثيراً مرتبطة أجزاؤه بعضها إلى بعض ، ولكنه ذاهب إلى حيث لا تدرى ؛ فإذا أحببت أن تعود أدراجك إلى بدايته لم تعرف كيف تروح معه ولا كيف تجىء

يشترط عليه الأستاذ إميل بك زيدان إذا أراد أن يحادثه فى أمر أن يمتنع عن مناقشته فيه ، لا لشىء ، إلا لأنه جرب مرات ومرات أن مناقشة الأستاذ شهاب تنتهى عادة بأن تقر دار الهلال نقيض ما تريده ، وما تكون قد أعدت العدة له

من آرائه أن مصر ستظل هكذا فى انتظار زعيم لا بد أن يكون دينياً ، وأن اللحم سيد الطعام ، وأن أسعد الناس هم سكان التكايا ؛ وأن الأستاذ محمود حسن إسماعيل شاعر قبطى بدليل الرهبان والصلبان والأجراس التى ترن فى شعره كثيراً ، وأن طلبة كلية التجارة يجب عليهم أن يقضوا مدة للتمرن فى المذبح وعند أبى ظريفة وغيره من تجار الفول ، على أن لا تزيد مدة التمرن هذه على ثلاثة شهور يعطى الطلبة بعدها دبلوم التجارة ليغزوا هذين الميدانين من ميادين التجارة القومية الرابحة ربحاً مؤكداً ومركباً أيضاً ؛ وغير ذلك له آراء كثيرة كم اختلستها منه ونشرتها منسوبة إلى فى (الرسالة) ، فأعجبت من قرأها

حفنى محمود بك :

هو أيضاً عجيب فى تفهمه للناس وإدراك تكوينهم النفسانى .

وهو يثأر للناس بعلمه هذا من الأشرار الذين يفتكون بهم . ولا تأخذه عند هذا الثأر رحمة ولا شفقة ، وجمهور من الناس يحسبون «حفنى بك» مهذاراً ماجناً ، وهم يروون حوادثه على أنها نوع من العبث والمزاح ، وقد اصطنع بعض المتظرفين أسلوبه فى السخرية من الناس ، ولكنهم لم يحرصوا على ما يحرص عليه هو وهو أن ترى كل نكتة من نكاته إلى معنى حق ، وأنه لا يمكن أن يصيب بمزاحه ضعيفاً أو مسالماً ، وأنه لا يؤذى به إلا من هو جدير بالأذى ...

كان غنى من أغنيائنا فى أوربا فى شهر يوليو . وهذا الغنى صاحب ذمة واسعة

تقدم منه حفنى بك وهو فى بار اللواء وقدم إليه ورقة من ذوات الخمسة الجنيهات وهو يقول له : أشكرك كل الشكر يا سعادة البك . وهذه هى الجنيهات الخمسة التى أقرضتنى إياها فى عيد فرنسا فى كازينو سان استفانو . فقبل الغنى الورقة وهو يقول : العفو العفو !... من غير أن يفكر فى أن عيد فرنسا لا يكون إلا فى ١٤ يوليو ، وأنه كان فى أوربا فى ذلك الوقت ، فلم يكن من الممكن أن يلقى حفنى بك فى سان استفانو ولا أن يقرضه شيئاً ...

تلك كانت ضربة قضى بها حفنى بك على المسكين من غير شك ... ولكن أليس هذا المسكين جديراً بهذه الضربة ... إنه على أى حال لم يتألم منها ولم يشكُ وجعها . فنفس كهذه لا يقتلها السم إذا نقع معه قرش لا جنيهات خمسة

الأستاذ محمود بسيونى :

صاحب البطاقة السهلة التى يستطيع أن ينالها منه كل قاصد تقديماً وتوصية . وصاحب الصدر الرحب الذى يفتحه لكل من يريد أن يرتمى فى أحضانه . ولكن كم من الناس يستطيع أن يقول إن بطاقة بسيونى بك نفعته أو أن وساطته قضت له حاجة ؟

هذا رجل كاهن . استطاع أن ينجح فى المحاماة إلى أبعد حدود النجاح لأنه استطاع أن يتغلغل فى نفوس الفلاحين إلى أبعد حدود التغلغل . . . رآهم يحبون الرجل الطيب فكان أطيب رجل ، ورآهم يأمنون الرجل الصالح فكان أصلح رجل

رأيته يوماً يدخل بنك مصر ومعه عميل من الريف ، فلم يصعد به السلم إلى المكتب الذى كانا يقصدانه ، وإنما طاف به فى بهو « البنك » طوفة متأنية متريثة ، أخذت أعصاب الرجل الريفى تتفكك فيها وتنحل رويداً رويداً من أثر الروعة التى كانت تشع عليه من جدران البنك ... فلما تم له هذا أخذه وصعد به إلى حيث كانا يقصدان ؛ وقد آمن الرجل إيماناً بأن بنك مصر هو خير من ألف بنك

وهذه من غير شك أطيب دعاية وأكرم خدمة يؤديها محام وطنى لعميله الوطنى وللبنك الوطنى ولإحساسه الوطنى أيضاً ...

عزيز أحمد فهمى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



أركان الحرب محور الدفاع الوطني

[من مجلة « لوا الفرنسية »]

يظن الكثيرون أن مهمة أركان الجيش محصورة في رسم خطط المعارك وإصدار الأوامر لقواد الجيوش ، ويتساءلون دهشين : « بأية وسيلة أو أعجوبة يتلقى قوادنا في المكان المحدود والساعة المعينة القوات المستمدة والكميات المطلوبة من الذخائر والمؤن والملابس وسائر المعدات الحربية ؟ »

من المعلوم أن شعب فرنسا يعمل بأسره في سبيل الجنود الذين يحاربون من أجله ، ومن المجهول تلك القوة الخفية التي تمد وتنظم الجنود وتجهز وتوزع المعدات الحربية . وقد لا يخطر للكثيرين أن تلك القوة مصدرها أركان الجيش التي تتخذ باريس قاعدتها ووزارة الحربية مركزها . وإذا جاز لنا أن نشبه القوى العسكرية بالجسم البشري ، فالجنرال غملان يمثل الرأس وأركان الحرب تمثل القلب ، وإذا كان القلب هو مصدر الحياة في الجسم والمحرك الدائم الحركة الذي إن توقف لحظة شلت كل الأعضاء حتى الرأس نفسه ، فأركان الحرب هي مبعث كل قوة ومصدر كل تنظيم في الجهاز العسكري

لدى أركان الجيش جيش صغير من الكتاب يعمل نهاراً وليلاً في ساعات معينة بإدارة بضع مئات من الضباط والاختصاصيين المسؤولين ، وفي مكتب رئيس أركان حرب الخرائط الحربية والخطط العسكرية والمعلومات الوافية التي تنبئ دائماً عن مواقف الجيوش في ساحات القتال وعما لديها من الذخائر والمؤن وغير ذلك مما يطول شرحه

ولنذكر الآن شيئاً مما تبذله أركان الحرب في إعداد المعدات الحربية . فمن المعلوم أن في فرنسا الآن بضعة آلاف من المصانع الحربية يعمل فيها نحو مليون عامل وعاملة ، وقد كان نتاج هذه المصانع في الحرب الكبرى يفوق نتاج أية دولة من الدول المحاربة والمحايدة ، وعلى رغم احتلال ألمانيا لمقاطعاتنا الصناعية في الشمال فقد كنا نمد حلفاءنا بما كان يعوزهم من المعدات. فإذا طلبت القيادة من أركان الجيش مثلاً بضعة آلاف من لوالب مدفع ٧٥ فما هي إلا دقائق معدودة حتى يباشر تجهيزها في المصانع ، وفي أقل من يومين تتسلم أركان الجيش الطلب وترسله إلى القيادة . ولكن إذا روعيت هذه الدقة في الحرب الحاضرة التي لم يعرف جنودنا فيها حتى الآن المعارك الحامية والانسحابات القاهرة فكيف تراعى في مثل تلك الأيام التاريخية الحرجة حين انسحبت جنودنا من شارلروا أمام الزحف الألماني ووقت أن هجم الألمان بجحافلهم على باريس وبلغوا كمبيان وسان كنتن؟ لقد خبر جيشنا تلك الساعات المشؤومة التي كانت تهدد فرنسا بالهوان ولكن تنظيمه العجيب كان فوق كل ارتباك وتشويش . إن تقهقر الجيش يعني وقوع ألوف من الأسرى، ومئات من المدافع في حوزة العدو، إخلاء مراكز المدفعيات والطيارات، إهمال المستشفيات والنقالات، وأخيراً ترك كل شيء أمام العدو الطارد . ومع ذلك كان جنودنا الذين شهدوا مثل هذه المآسي يعلمون جيداً أن وراءهم مدافع جديدة جاهزة بدل المفقودة وكميات هائلة من الذخائر والمؤن عوض المتروكة

وقد أطروا كثيراً التنظيم الألماني وأركان الحرب الألماني ، ولكن ذلك كان فوق الواقع . ولماذا لا يحق لنا أن نعجب بالتنظيم الفرنسي الذي برهن في أشد المواقف حرجاً على دراية وحسن إدارة نادرتين ؟

ومن مهام أركان الجيش تعهد طرق المواصلات والعناية بأسرى الحرب من جنود ومدنيين . أما المهمات الكبرى ، فهي تموين الجيش وكفى بها عبئاً ثقيلاً يقتضي الجهد الكبير والعمل المتواصل، فإن تموين خمسة أو ستة ملايين رجل منتشرين في مئات من الكيلومترات لمن أشق الأمور وأعقدها

قد تستعظم المهمات المذكورة مع أننا لم نأت إلا على شيء منها ولم نذكر إلا بعض ما يفرض على أركان الجيش من الواجبات .

من السهل أن نطلع على ما يقال ويجري عندنا وما تصدره أرضنا وتخرجه مصانعنا ، ولكن علينا في زمن الحرب أن نعرف أيضاً ما يقال ويجري عند الآخرين من أعداء ومحايدين وما تغله أرضهم وما تنتجه مصانعهم ، فكل حركة حربية يتوقف نجاحها غالباً على معرفة الحالة الاقتصادية والمعنوية في بلاد العدو . من ذلك أن الهجومين الظافرين على بلغاريا وتركيا في الحرب الماضية لم يفلحا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لولا التعليمات التي تلقتها من أركان الجيش ، ومنها عرف أن ليس في طاقة الجيش البلغاري أن يواجه حملة عنيفة، وأن الشعب البلغاري قد سئم الحرب .

وعلى مكتب أركان الجيش أن يقدم تعليمات دقيقة عن الحالات المعنوية والاقتصادية والحربيـة في بلاد الأعداء ، وأن يطالع الصحف الأجنبية ويستخلص منها ما يفيد القيادة العليا ووزارة الخارجية ، ثم يدرس أساليب التنظيم الحربي عند الدول الأجنبية ويستطلع مستحدثاتها الحربية . ومن شؤون هذا المكتب إيفاد البعثات إلى الخارج ونقل البريد والاتصال الدائم بأركان جيوش الدول المحالفة والمحايدة وغير ذلك مما لا نذكره اجتزاء

وهناك مكتب آخر من مصلحته تقديم التعليمات السرية عما يجرى في بلاد العدو ، وهو الذي أفادنا في الحرب الماضية أن القروض الألمانية والنمساوية منيت بالفشل وإن تكن حكومتا برلين وفينا أذاعتا نجاحهما الباهر . ومن مصلحته أيضاً الإفادة عن نتائج الحصار ودرس الوسائل التي تضعف العدو

ومن المهام الخطيرة المفروضة على أركان الجيش نقل الجيوش وكلنا يذكر النظام التام الذي تم فيه نقل جيوشنا سواء في أغسطس من سنة ١٩١٤ أو في سبتمبر من هذه السنة . فلا اضطراب ، ولا فوضى ولا تشويش . وقد أدت سككنا الحربية خدمات جليلة ، وكانت من أهم أسباب انتصارنا في الحرب الغائتة . ومنها توزيع الرسائل على جنودنا سواء في فرنسا أو في الخارج. ولكي يتصور القارىء مشقة هذه المهمة نقول إن ما يرسله جنودنا من الرسائل وما يرسل إليهم يومياً يملأ ثلاث مركبات

إن ما ذكرناه ليس إلا صورة مصغرة للخدمات الكبيرة والمهمات الخطيرة التي يؤديها أركان جيشنا محور الدفاع الوطني وقلبه النابض

ممتلكات انجلترا

[من مجلة « العصبة »]

من الأقوال الشائعة أن الشمس لا تغيب عن أملاك انكلترا. وتلك حقيقة ليس فيها أقل مبالغة ، فأنى توجهت تر لبريطانيا العظمى علماً مرفوعاً ومدفعاً منصوباً وسفينة جارية . محطات حربية في أهم وأمنع المواقع ، قواعد تجارية منتشرة في كل صقع ، ممتلكات ومستعمرات لا تقل مساحتها عن خمسة وثلاثين مليون كيلو متر مربع ، عمارات من السفن الحربية والتجارية تنشى البحار ليل نهار . هذا هو المشهد الأول من عظمة الأمبراطورية البريطانية .

يخفق العلم البريطاني في أوربا على : إنكلترا ، إرلندا ، مالطة ، جبل طارق

وفي أمريكا على : كندا ، الأرض الجديدة ، لبرادور ، أرخبيل برمودا س في الأطلانطيكي، أرخبيل باهاما في الأطلانطيكي جزر ريلافنتو ، جزر سوتوفنتو ، جزيرة جاميكا ، جزيرة باربادس ، جزيرة ترينداد ، جزيرة تاباكو ، هندوراس البريطانية ، غيانا البريطانية، جزائر فلكلان وجورجيا في الأطلانطيكي الجنوبي

وفي أفريقيا على : الاتحاد الإفريقي الجنوبي، روديسيا الجنوبية، تانغانيكا، أوغندا، زنجبار، كينيا، الصومال الإنكليزي، السودان الإنكليزي المصري، غامبيا، الشاطىء الذهبي، توغو (قسم منها)، جزيرة سانتا هيلانة ، جزيرة أسنسيون ، جزر سيشل ، جزر موريشاس ، جزيرة سوقطرا ، سيراليون

وفي آسيا على : الهند ، سيلان ، قبرص ، فلسطين ، شرق الأردن ، عدن ونواحيها ، سنغافوره ، ملقة ، هونغ كونغ ، بورنيو الشمالية ، ساراواك ، بروني ، واي هاي واي ، البحرين ، اندمان ونيكوبار

وفي الأقيانوسية على : أستراليا ، زيلاندة الجديدة ، فيجي ، غينيا الجديدة ، بابو ، سلمون ، تونغا ، ساموا الغربية ، نورو وغيرها من جزائر الباسيفيكي العديدة

٣٥ مليون كيلو متر مربع تتدفق خيراتهـا على الجزر البريطانية وخمسمائة مليون نفس يمتثلون لأحكام السلطة الإنكليزية. وقد بلغ التوسع البريطاني أشده في القرنين الأخيرين؛ ففي سنة ١٨٠٠ كانت مساحة الإمبراطورية البريطانية ٣٫٨٨٣٫٣٢٠ كيلو مترا مربعاً فبلغت سنة ١٩١٩ نحو ٣٥٫٤٦٧٫٦٥٦ كيلو مترا مربعاً وعدد سكانها ٤٧٥ مليون نفس

تبلغ مساحة كندا وحدها نحو تسعة ملايين كيلومترا مربعة يسكنها نحو عشرة ملايين نفس، وهي تشغل المرتبة الثالثة في العالم بما تغله أراضيها من الحنطة ، وقد استخرجت في سنة ١٩٣٦ نحو ١١٦ طنا من الذهب و٧٧ ألف طن من النيكل

والاتحاد الإفريقي الجنوبي مساحته ١٫٢٢٥٫٠٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانه ٨ ملايين ، وهو موطن الذهب فقد استخرج



وحي الرسالة

تفضل كاتب العربية الأستاذ الجليل عباس محمود العقاد فلخص في هذا الكتاب البليغ رأيه القيم في كتاب (وحي الرسالة) . وإنا لننشره شاكرين لناقد الكبير جميل رأيه في الكتاب وصاحبه :

أخي الكاتب البليغ الزيات

وحي رسالتك أصدق ما قرأت في الكتابة العربية الحديثة من مصداق لرأي القائلين : إن الرجل هو الأسلوب

فأنت أسلوبك وأسلوبك أنت : إتقان واستحياء وسلاسة ، صُورتْ في عالم الخلق فكانت إنساناً ، وصُورتْ في عالم الفكر فكانت وحي الرسالة

إتقان صينة في غير ظهور ولا ادعاء ، يوشك من يتبينه أن يلمسه ليعرف موضع الجودة فيه ، كما يلمس السوّم النسيج المتين الذي وهي المتانة سراً من أسرار منواله وخلا من الزخرف والبريق ، لأن إتقان تلك الصينة كإتقان هذا النسيج ، في حقيقتها وليس على مرآها، وعلى صفحة محياها دون سواها

واستحياء يخفي مزاياه ولا يفوته شيء بأن يخفيها ، لأنها أثبت من أن يحجبها الإخفاء

وسلاسة تطوّع العصيّ وتملك الزمام في الوعر والسهل على السواء . فإن ما تصف من ألم نفساني يلهب مراق الحشا ويَبْدِه الضعف الإنساني بأقصى ما يطيق وفوق ما يطيق، لكالذي تصف من ألم يباشر الفكر قبل أن يباشر اللحم والدم، ويحسب من قضايا الرأي كما يحسب من قضايا الفؤاد.

إتقان واستحياء في المعنى لا في اللفظ وحده ، وفي موضوع الكتابة لا في بنيانها وتركيبها وكفى ، وعلى السماء وفي الطوية سواء

وتلك هي الأساليب التي تضاف إلى لغة العرب فيقال معنى إنساني في كلام عربي ، ولا يرتد المعنى إلى بني الإنسان حيث كانوا ثم لا يبقى منه للعربية ما تحرص عليه

وحي رسالتك في كتاب أحمد

والسلام عليك وعلى من اتبع هداه

عباس محمود العقاد

مصر الحلوة Egypte la douce

تحت هذا العنوان الجميل جمع الكاتب الفرنسي الكبير جان لوجول رئيس تحرير البورص إجبسيان طائفة من الفصول الفرنسية الرائعة القصيرة كان قد نشرها متفرقة في مدى عشر سنين.

وهي صور صادقة للحياة المصرية في شتى مظاهرها ومناظرها وأحداثها وعاداتها، رسمها قلم فنان صَنَاع وجد إلهامه في حب مصر وأهل مصر ، وقصد بعرضها في هذه الألوان الجميلة أن يوثق بها التعارف والتآلف بين الصديقتين القديمتين فرنسا ومصر في هذا العهد الذي قضي فيه إلغاء الامتيازات وما سيعقبه من إلغاء المحاكم المختلطة أن يعيش المصري والأجنبي عيشة أهل الوطن الواحد لا تفرق بينهما فوارق السياسة والاجتماع

وقارئ هذا الكتاب القيم يستطيع أن يقول على الجملة إن مسيو لوجول من الكتاب الأجانب القلائل الذين فهموا مصر وعرفوا كيف يُفهمونها من يجهلونها بأسلوب يشرق فيه الحب والصدق والإخلاص

مصر المزدهرة L'Egypte florissante

وذلك عنوان آخر جملته الكاتبة الفرنسية الشاعرة « فلنتين دي سان بوان » حفيدة « لامرتين » لمجموعة من المقالات الممتعة قصدت بها تصوير مصر الجديدة في عهدها الفاروقي المبارك تصويراً دقيقاً يجلوها في أوضاعها المختلفة من اجتماعية واقتصادية وفكرية ودينية وأدبية وفنية . وقد آثرت

منه في سنة ١٩٣٦ نحو ٣٥٢ ألف كيلو . وأستراليا ومساحتها نحو ٨ ملايين كيلو متراً مربعة يقدر عدد مواشيها بنحو ١٢٠ مليوناً استغلت منها في سنة ١٩٣٦ أكثر من ٤٥٠ ألف طن من الصوف. والهند ومساحتها نحو ٥ ملايين كيلو متراً مربعة وعدد سكانها ٣٥٠ مليوناً أنتجت في سنة ١٩٣٦ ما يزيد على ٥٧ مليون طن من الأرز وهي الأولى بين كل بلدان العالم بمحصول الأرز . وأنتجت أيضاً في تلك السنة ٤ ملايين طن من السكر و١٠ ملايين طن من الحنطة ومليون طن من القطن ومليوني طن من الخيش أي ٩٩ في المئة من محصول العالم كله ، وفي الهند من البقر ما يقدر بمائة وخمسين مليوناً

أن تكل هذا التصوير لمن كان لهم يد فى التجديد والإحياء من المصريين وبعض الأجانب ، فاستكتبت أكثر من أربعين رجلاً من صراة الكاتبين والمفكرين ونشرت آراءهم وصورهم فى هذا الكتاب الأنيق بعد أن زينت صدره بطاقة من الشعر الفرنسى الرفيع قدمتها إلى صاحبي الجلالة الملك والملكة . وهذا الكتاب كسابقه دعاية وتعريف لمصر الناهضة . وهما فوق ذلك نموذج فريد من الفن العالى فى التحرير والتصوير والطبع، ودليل جديد على اعتراف الأدب الفرنسى بالجميل لوادى النيل .

حول الأزهر

أعيذ الرسالة وصاحبها أن يكونا كأصحاب صحف أخرى عرفت بأنها تنشر الخطأ فى الدين ولا تنشر الصواب وتنشر الطعن ولا تنشر الرد

وأعيذها مرة أخرى وقد تعرضت لنشر بحوث دينية أو علمية أن يفوتها فيما تنشر مغمز من قول أو فلتة من لسان ولا تملق عليه كما هو شأن الصحف الراقية بعلمها الجم ومعرفتها القيمة، فهى غنية بمعرفتها عن اتخاذ إخصائيين لها فى هذه الشئون

جاء فى كلمة الأستاذ المدنى حول الأزهر أن مدح أحد الشيوخ لقوله إن الشيطان إنما هو قوة الشر المنبثة فى العالم وأخذ يدبج لهذا الشيخ الثناء ، ويكيل له الإعجاب ، وينتقد الذين انتقدوه فى القول وحمل عليهم وقال كان من حق الأزهريين جميعاً أن يقابلوا هذا الرأى العجيب الذى يوافق الدين والعلم الحديث بالإعجاب إلى آخر ما قال من لون من القول كان الأولى بمن يكتب النزوع عن مثله فى التحدث عن فريقين

ومن الأسف أن الأستاذ المدنى وصاحبه إن كان لا زال مصمماً على ما قال مخطئان كل الخطأ فى الدين وفى العلم الحديث معاً . وما للعلم الحديث ومسائل لا تعرف إلا عن الوحى ؟

ذلك لأن الجن والشياطين والملائكة والجنة والنار حقائق إسلامية لا تعرف إلا من طريق الوحى ، وليست مجالاً للرأى ولا للعلم الحديث فى شىء ، ولا هى ضارة بالعلم الحديث فى شىء أيضاً ، فهمها العرب الذين نزل القرآن الكريم بلسانهم مؤمنهم وكافرهم كما عناها القرآن وأرادها . وهذه أوليات مسلمة فى الإسلام فى قسم الغيب الذى يجب الإيمان به كما جاء وليس للبحث العلمى إليه من سبيل ، ومنها الإيمان بالبعث والحشر والنشر وصورة ما تكون عليه تلك الشئون ، ولا يطلب فى ثبوت ذلك إلا صحة الدليل النقلى من كتاب أو سنة صحيحة . فالتحكك بخلق جدل وخلافات دينية فى موضوعات دينية ليست موضع جدل، هو فضول من القول وشغل للقراء بغير ما يليق بالكاتب الأمين أن يشغلهم به

وأولى بمن يتكلم باسم الدين فى الناس أن يشغلهم بالنواحى العملية منه ويبعدهم عن الجدليات ، لأن الدين نفسه ينهى عن الجدل والمنازعات كما ينهى عن المنكرات . وفى النواحى العملية الإسلامية ما يشغل ألف كاتب وكاتب أعماراً طويلة ، لأن هداية الناس وحملهم على العمل بالدين فى شئونهم اليومية والاجتماعية ، وتحليهم بأخلاقه ، واحترامهم لمبادئه وآدابه ، وخصوصاً بعد أن رأوا إله الحضارة الحديثة والمدنية الجافة قد سقط ، وأنه آن الأوان لسلطان الإسلام الحق ومبادئه العادلة أن يسود وأن يقود العالم مرة أخرى مديدة إلى حياة السعادة والهناءة والأمن على النفوس ، وأن ينقذهم من دبلوماسيات هذا العصر ويكبح جماح العلم الحديث فلا يستعمل إلا فى خير الإنسانية ، فلا بد للعلم الحديث من دين يكبح جماحه ، ولا بد للدول من أن تعترف بالإله الحق الذى سخر لهم الطبيعة وأنزل لهم الشريعة وأنذرهم من آلاف السنين فى كتبه المقدسة بما صدقه التاريخ وبما هو حاصل اليوم وواقع على رؤوسهم

فعلى رجال الدين الإسلامى أن يثبتوا فى مراكزهم ولا يتزحزحوا عنه بالتأويل والتحوير إرضاء لعدوهم فالعاقبة لهم إن كانوا مؤمنين حقاً بدينهم ... والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

محمد عبد السلام القبانى
المدرس بكلية الشريعة

تعقيب على مآخذ

١ — ذكر الأستاذ القطان كلاماً حول لفظى تعبان وظمآن فقال إن تعبان تمنع من الصرف ، لأن مؤنثه تعبانة ولا يمنع من الصرف إلا ما كان مؤنثه على وزن فعلى وكان زائد الألف والنون . نعم إن القاعدة مسلمة ، ولكن هل وردت كلمة تعبان فى كتب اللغة أم هى كلمة عامية والعربى غيرها . أجمع أساس

البلاغة وتاج اللغة والقاموس وشرحه وأقرب الموارد واللسان والصحاح على أنه يقال: هو تعب ومتعب ولم يقولوا هو تعبان. إلا أن المنجد ذكر هو تعب وتعبان، ولا ندرى من أى مصدر استقاها. من هذا يتبين لنا أن تعبان ساقطة من أساسها على الأصح لأنها لو كانت موجودة فى اللغة لذكرها الأشمونى مع الأربعة عشر لفظاً التى مؤنثها فعلانة وإذن نأخذها على الدكتور زكى مبارك غلطة لغوية. أما ظمآن فقد ورد فى القاموس ظمآن وظمآنة، وفى أقرب الموارد هى ظمأى وظمآنة. أما فى اللسان وتاج اللغة والصحاح فهى ظمأى، وما دامت قد وردت ظمآنة فى بعض أمهات الكتب يصح قول الدكتور محمد عوض لم يزل ظمآناً.

٢ - الأبيات الحائرة: يذكر الأديب على محمد حسن أن كتب النحو والشواهد أجمعت على أن الأبيات الحائرة لمالك بن الريب، ولا أدرى أين هذه الكتب التى أجمعت على أنها له؛ فإن كتب النحو والشواهد أجمعت على أنها للفرزدق. فى حاشية الصبان على الأشمونى نقلاً عن التصريح، وفى فرائد القلائد فى مختصر الشواهد لمحمود العينى أنها للفرزدق. وقد ارتضى ذلك الأستاذ أحمد زكى صفوت فى كتابه الكامل فى النحو، والأستاذ الشيخ محمد محيى الدين فى شرحه على ابن عقيل. أما فى شرحه على الأشمونى فقد ذكر ما ذكره العينى ثم أورد رواية ياقوت فى معجم البلدان. والذى يرجح أنها للفرزدق عدة أمور (١) إن ما ذكره ابن قتيبة فى الشعر والشعراء، والمبرد فى الكامل من أنها لمالك بن الريب خطأ محض، إذ أن مالكاً مات فى زمن معاوية ولم يدرك الحجاج (٢) شبه الإجماع من كتب النحو والشواهد على أنها للفرزدق (٣) إن رواية أبى تمام أقوى من رواية ياقوت التى تنسبها للبرج بن خنزير، إذ أن أبا تمام توفى سنة ٢٣١ هـ، فهو أقرب إلى الفرزدق المتوفى سنة ١١٤ هـ من ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ. ولم نجد كتاباً آخر ينسبها للبرج غير ياقوت (٤) إن البيتين الآتيين من القصيدة نفسها:

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ... كما كان عبداً من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله ... يراوح صبيان القرى ويغادى

بالفرزدق ألصق لما له من اعتزاز وتيه وذكر للآباء والأجداد، ولكثرة مناوشاته مع الولاة بل مع الخليفة أحياناً.

٣ - الآخر والثانى: يأخذ الأستاذ م. م. إبراهيم على الأستاذ أحمد أمين قوله: قال أحدنا: جزءاً من العقد الفريد، وآخر: جزءاً من الأغانى وثالث الخ ... ثم يقول: والمعروف فى اللغة أنه لا يسوغ أن تقول آخر إلا إذا كان هو الأخير فلا تفنى بعد ذلك بأعداد أخرى الخ .. وأظن الأستاذ قد خلط بين آخِر بكسر الخاء ضد أول وآخَر بفتحها بمعنى غير أو واحد. كما أحسب أنه لم يعرف أن ربيع الآخر وجمادى الآخرة بكسر الخاء فيهما، ولو كانت بالفتح لقالوا: جمادى الأخرى مؤنث الآخَر بالفتح لأن الآخرة مؤنث الآخِر بالكسر. فاللغة إذن لا تمنع أن يقال جاء رجل وغيره وثالث ورابع

عبد الستار أحمد فراج

١/٣ عدد الرجال لا يتمتعون ببهجة الحياة!
ويمكنك معرفة هؤلاء التعساء مما يبدو عليهم من فقدان النشاط، والمزاج العصبى وعدم الميل إلى العمل، والفشل فى الحياة الزوجية، فتراهم ضعاف النفس والجسم معاً. على أن العلم الحديث يقرر بأن هذه الأعراض هى فى العادة بيولوجية محضة، لأن السبب فيها هو الهرمونات. فإذا حرم الجسم من كفايته من هذه المواد العجيبة الطبيعية حرم من النشاط ومن القوة الحائزة وكل ميل إلى التقدم. ولكن جميع ذلك قد صار الآن فى الاستطاعة تموين الجسم بهذه الهرمونات المطهرة الأثر فى شكل مستحضرات طبية، فيمكن لجميع الرجال الذين يشكون من قلة الهرمونات فى أجسامهم أن يتداركوا أنفسهم. وقد اكتسب مستحضر «لولوبطس» شهرة فى هذا الميدان عن صحة، لأنه أول مستحضر هرمونى يضمنون عليها، ويخبر اختبارات عملية دقيقاً للتخفيف من نقص وتناسب عناصره «الهرمونية»، ولهذا اشتهر نجاح «لولوبطس» فى معالجة جميع الحالات التى فشلت فيها سائر الأدوية. لأجل معرفة كل ما يتعلق بالحياة الجنسية (بالقوى الجوهرية) يجب أن تطالع كتاب الحياة الجديدة الذى يمكنك الحصول عليه نظير ٥ للنسخة الفرنسية أو الإنجليزية المحلاة برسوم ذات خمسة ألوان و ٣ للنسخة العربية ترسل طوابع بريد إلى جلال مهر ريمج: صندوق بوستة ٢١٠٥ بمصر
اختراع.. سرعة القذف قابلة للشفاء بواسطة نوبيطس نمرة ٣ || مجاناً اطلب نسخة من البيان المصور من جلال مهر ريمج
العلاج العلمى الحديث الذى اكتشفه العلامة الشهير الأستاذ ماجنوس هرشفلد ص. ب ٢١٠٥ بمصر أرسل طلبك بطابع بريد ٥ بخمسة مليمات
(سجل تجارى (٥٢٢٧))



عاصفة القـــدر

للمرحوم مصطفى صادق الرافعي

[عثر فى أوراق المرحوم الرافعى على أقصوصة نحسبها لم تنشر، فوجدنا من حسن المناسبة أن ننشرها فى يوم ذكراه]

على شاطئ النيل فى إقليم « الغربية » من هذا البر قرية ليس فيها من جبل ولكن روح الجبل فى رجل من أهلها ، فإذا أنت اعتبرته بالرجال قوة وضعفاً رأيته ينهض فيهم بمنكبيه نهضة الجبل فيما حوله، وهو بطل القرية ولواء كل معركة تنشب فيها بين فتيانها وبين فتيان القرى المتناثرة حولها ، ولا تزال هـذه المعارك بين شبان القرى كأنها من حركة الدم الحر الفائر المتوارث فيهم من أجيال بعيدة ينحدر من جيل إلى جيل وفيه تلك القطرات الثائرة التى كانت تغلى وتفور، وهى كعهدها لا تزال تفور وتغلى، ويلقبون هذا الرجل الشديد (بالجمل) لما يعرفونه من جسامة خلقه وصبره على الشدائد واحتماله فيها وكونه مع ذلك سلس القياد سليم الفطرة رقيق الطبع ، على أنه أبطش ذى يدين إن ثار ثائره ، وله إيمان قوى يستمسك به كما يتماسك الجبل بعنصره الصخرى ، إلا أنه يخلطه ببعض الخرافات ؛ إذ لا بد له من بعض الجرائم الشريفة التى يحمل عليها فرط القوة والمروءة فى مثله مع مثله . وليس فى تلك القرية من بحر غير أن فيها شاباً أعنف طيشاً وعتواً من الموجة على بحرها فى يوم ريح عاتية ، حلو المنظر لـكنه مر الطعم ، صافى الوجه لـكن له غوراً بعيداً من الدهاء والخبث ، وهو ابن عمدة البلدة وواحد أبويه والوارث من دنياها العريضة بسط يديه على خمسمائة فدان ، وقد أفسدته النعمة ، وأهانته عزته على أهله ، ولو اجتمعت حسنتان لتخرج منهما سيئة من السيئات بأسلوب من الأساليب لـما وسعها إلا أسلوب نشأته من أبويه الطيبين ، تعلم وهو يعرف أنه لا حاجة به إلى العلم ، فجعلت تلفظه المدارس واحدة بعد واحدة كأنه نواة ثمرة إنسانية، فإذا قيل له فى ذلك قال إن خمسمائة فدان لا تسعها مدرسة ... وذهب إلى فرنسا يطلب العلم الذى استعصى عليه فى مصر ، فأرهف ذلك العلم ... خياله وصقل حسه، ورجع من باريس رقيق الحاشية خنثاً متظرفاً لا يصلح شرقياً ولا غربياً

... وليس فى تلك القرية غابة لكن فيها عذراء تلتف من جسمها فى رداء الجمال الطبيعى الرائع ، ولها نفس أشد وعورة مما تنطوى الغابة عليه ، ففى ظاهرها الرونق الذى يفتن فيجذب إليها ، وفى باطنها القوة التى تلتوى فتدفع عنها ؛ وهى ابنة عم (الجمل) واسمها (خضراء) ؛ وكأن فيها زهو خضرة الربيع ، ولم تكن تعشق إلا القوة ، فما زيّن لها من الرجال إلا ابن عمها ، وهى شديدة الإعجاب به ، وإنمـا إعجاب المرأة برجل من الرجال مفتاح من مفاتيح قلبها

وكانت (خضراء) جاهلة كنساء القرى، بيد أنها تلميذة بارعة للطبيعة التى نشأت فيها وزاولت أعمالها ، فهى بذلك أقوى نفساً وأشد مراساً من الفتيات المتعلمات ؛ إذ اتخذت شكلا ثابتاً من أشكال الحياة ، والحياة هى صنعتها هذه الصنعة وأقامتها على هذه الهيئة ، على حين أن المتعلمات يمضين أيام النشأة وسن الغريزة فى التلقى عن الألفاظ والكتب ، وفى توهم الصور المختلفة للاجتماع دون مباشرتها ، وفى توقى أعمال الحياة بدلاً من مخالطتها ، فيؤول ذلك منهن إلى قوة فى التخيل قلما ترضى الحقيقة الإنسانية المؤلمة حين تصادمها يوماً ، وتتم الواحدة منهن ولكن باعتبار أنها تمّت تلميذة المدرسة ، لا امرأة للحياة بما فيها مما يعجب وما لا يعجب

وكانت خضراء أشبه ببدوة النهار تفتح أجفانها على أشعة الفجر كل يوم ، ولا تزال نهارها فى دأب وعمل ، فنفى ذلك عن أخلاقها ما يجلبه السكون من الخمول والميل إلى العبث والدعابة ، وحصلت لها من الحياة حقيقة عرفت منها أن المرأة عامل من من أكبر العوامل فى النظام الإنسانى عليه أن يصبر على النكد والتعب إذا أراد أن يظهر بطبيعته الحقيقية لا بطبيعته المزورة المصنوعة ؛ ورأت الرجل يستأثر بجلائل الأعمال ولا يترك المرأة إلا كما يترك عقرب الساعات لعقرب الثوانى فى الرقعة التى تجمعهما ، فهذا الصغير لا يبرح يضطرب فى « دائرته الضيقة » يهتز من جزء إلى جزء ، حتى إذا أتم الدقيقة فى ستين هزة كاملة ذهب الأول بفضلها كلها وخطا بها خطوة واحدة . ثم يعود المستعف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المسكين إلى مثل عمله ، ولا يزال هذا دأبهما وإن أكثرهما عملاً وتعباً هو أقلهما قيمة وظهوراً . ولكن هذا الضعيف المغبون لم ينله ما ناله إلا من كونه هو وحده الذي بني في هذا النظام على فضيلة الصبر والدقة ليكون أساساً للآخر . فعرفت (خضراء) كيف تقيد طبيعتها من تلقاء نفسها وتقرها على الصبر والرضا والسكون إلى حظها الطبيعي والاغتباط به ، إذ كان فضل الرجل على المرأة ليس في كونه أكثر منها فضلاً أو أسباب فضل ، بل في كونها هي أكثر منه حباً وتسامحاً وصبراً وإيثاراً ؛ ففضائلها الحقيقية هي التي جعلته الأفضل ، كما تجوع الأم لتطعم ابنها

***

ورآها ابن العمدة ، ولما تمض أيام على رجوعه من أوربا، وقد لبث هناك بضع سنين ، وكان عهده بالفتاة صغيرة ، فوثبت إلى نفسه في وثبة واحدة، ورأى شباباً وجمالاً وروعة زينتها في قلبه وسولت له مطمعاً من المطامع وجعلته يرى ما يرى بمعنى ويفهم منه ما يفهم بمعنى غيره

وكانت حين رآها واقفة على النيل تملأ جرتها مع نساء من قومها وهن يتعابثن ويتضاحكن ، كأن لخصب الأرض في أرواحهن أثراً بادياً ، فإذا ما أقبلن على النهر لشأن من شؤونهن تندت روح الماء على ذلك الأثر فاهتز واهتزت المرأة به ؛ فإن كانت ذات مسحة من جمال رأيت لها رفيفاً كرفيف الزهرة حين يمسحها الندى ، وذهبت لتموج في جسمها ، وقد حسرت عن ذراعيها ، ولمس الماء دمها الجذاب ، فأرسل فيه تياراً من العافية والنشاط يتصل منها بقلب من يراها إن هو كان شاعراً يحس ؛ فإن كانت روح الرجل ظمأى ورأى المرأة على هذه الهيئة، فما أحبه أن يشرب منها بعينيه شرباً يجد له في قلبه نشوة كنشوة الخمر ... وكذلك وقعت الفتاة من نفس هذا الفتى ، فزينها له الخبث الذي فيه أضعاف ما زينها له الجمال الذي فيها ، وقذفها القدر إلى قلبه ليخرج من هذا القلب تاريخ جريمة ، فوقف يتأملها بعين أحدّ من آلة التصوير لا تفوتها حركة ، وسلط عليها فكره وذوقه ، وأيقظ لها في نفسه المعاني الراقدة ، فنصبت في قلبه عدة من تماثيل الجمال تجسدت في كل واحد منها على شكل كأنما أفرغت فيه أفراغاً

وكانت نفس ابن العمدة من النفوس الخيالية المتوثبة، إذ قامت من نشأتها على أن تطلب فتجاب، وتأمر فتطاع، وتشتهي فتجد، وكأنه ما خلق إلا ليستعبد قلبي والديه ، وكانا ساذجين لا يعرفان من علم التربية إلا أن للحكومة مدارس للتربية، وموسرين لا يفهمان من معنى الحاجة في هذه الدنيا إلا أنها الحاجة إلى المال، ومنقطعين من النسل إلا منه ، فكأنه لم يولد لهما بل هما قد وُلدا له . . . فله الأمر عليهما من كونه لا أمر لهما عليه ، وبذلك أسرفا له من فضائل الرقة والحنان والإشفاق وما إليها ، وهي في نفسها فضائل ولكن متى أسرف بها الآباء على أولادهم لم تنشئ في أولادهم إلا ما يكون من أضدادها ، كالشجر يفرط عليه الري فلا يحدث فيه إلا اليبس والذوي ، وإنما أنت تسقيه الموت ما دمت ترويه بمقدار من هواك لا بمقدار حاجته

ونشأ الفتى في أحوال اجتماعية مختلفة جعلت من أخص طباعه تمويه نفسه على الناس، والتباهي بالغنى والتنبل بالأصدقاء والحاشية من وزرائه وعماله، والتهيؤ بالثياب والأزياء، فانصرف باطنه إلى تجميل ظاهره ، وردّ ظاهره على باطنه بالشهوات والدنايا ، وأعانه على ذلك أنه جميل فاتن ، كأنما خلقت صورته « للصفحة الحساسة » من قلوب النساء . وذلك ملك عظيم لم يكن أبوه الرجل الطيب منه إلا كما يكون وزير مالية الدولة ... ... ولما أرسلُ إلى باريس وقع منها في بلد عجيب كأنه خيال متخيل، لا يؤمه رجل في الدنيا من كامل أو ناقص ، وعالم أو جاهل ، وشريف أو ساقط ، إلا رأى فيه ما يملأ كل مداخل نفسه ومخارجها ، فلو قامت مدينة من أحلام النفوس الإنسانية في خيرها وشرها ، وطهرها وفجورها ، واختلالها ونظامها، لكانت هي باريس. وانقطع الشاب هناك إلى نفسه وإلى صور نفسه من أصدقاء السوء، فلا أهل فيلزموه الفضيلة ولا إخوان فيردوه إلى الرأي، ولا خلق متين فيعتصم به، ولا نفس مرة فيفيء إليها ولا فقر ... فيحد له حدوداً في الشهوات يقف عندها . وما هو إلا خيال متوقد ومزاج مشبوب وتربية مدللة وطبع جريء ومال يمر في إنفاقه ، ومن ورائه أب غني مخدوع كأنه في يد ابنه كرة الخيط : كلما جذب منها مدت له مدّاً، ثم ما هنالك من فنون الجمال ومتع اللذات وأسباب اللهو مما يتناهى إليه فساد الفاسد وما هو في ذاته كأنه عقوبة مستأصلة للأخلاق الطيبة فكان الشيطان الباريسيُّ ... من هذا المسكين في سمعه وبصره ورجله ويده يوجهه حيث شاء . وبالجملة فقد ذهب ليدرس فدرس ما شاء ورجع أستاذاً في كل علوم النفس المختلة الطائشة وفنونها، وأضاف إلى هذه وتلك كلمات يلوي بها لسانه من علوم وأقاويل ليس فيها إلا ما يدل الحاذق على أن هذا الشاب لم يفلح قط في مدرسة

فلما وقعت (خضراء) منه ذلك الموقع وأخذت مأخذها في نفسه، اعتدها نزوة من نزواته، فما بمثله أن يحب مثلها ولا هي كفايته في شيء، إلا أن تكون لهو ساعة من ساعاته، أو حادثة تجرى فيها حال من أحواله الغرامية . وحسبها امرأة ليس لقلبها أبواب تمتنع على مثله ، فقدر أن غناه وفقرها يفتلمان باباً ، وعلمه وجهلها يحطمان باباً آخر ، وجماله وحده يضع ما بقى من الأقفال عما بقى من الأبواب ، وكان يحسب أن جمال المرأة من المرأة كالحلية من بائعها فكل من ملك ثمنها فليس بينه وبينها إلا هذا الثمن ؛ ولكن الأيام جعلت تأتى وتمر وهو لا يزيد على أن يعرض لها وهى ترميه من صدودها كل يوم بداعية من دواعى الهوى ، وكان لا يجد بنفسه قوة أن يزيدها على النظر شيئاً، وترك لوجهه وثيابه ونظراته وغناه أن تصل بين قلبه وقلبها بسبب، فلم يبل طائلاً وتمادى فى حبه واستولت عليه فكرة غمرته بهذه المرأة ، أما هى فأشعرتها غريزتها بما فى قلبه منها وكانت مسماة ، لابن عمها[1] ، فكانت تتحاشى هذا الشاب وتحذره حذراً شديداً ، وتتوهم أن الناس يحصون عليها النظرة والالتفاتة ويحصون عليه من مثالهما ، ووقع فى نفسها أن لهذا الرجل شأناً غير شأن الرجال الآخرين، فهم لا يستطيعون معها حيلة وهو يستطيعها بغناه ومنزلته

وكان للرجل خادم داهية قد تخرج فى مجالس القضاء من كثرة ما حكم عليه فى تزوير واحتيال وغش وادعاء وإنكار ونحوها ، وقد استخلصه لنفسه واتخذه مؤانساً ورفيقاً وجعله دسيساً[2] إلى شهواته السافلة ، كان يسميه فيما بينهما (إبليس) فلما أراد أن يرميها به قال يا سيدى هذه قضية احتيال عليها ، فإذا دخل ابن عمها خصماً فى الدعوي كانت قضية احتيال على عمرى أنا ! قال : ويحك أيها الأبله ! فأين دهاؤك ومكرك؟ وإنما أرسلك إلى امرأة فقيرة عيشها كفافها ، وأنت تمدها وتمنيها وتبذل عنى ما شئت ، ومتى أطمعتها فى المال فإن هذا المال سيوجد ما لا يوجد فى مكان فيشرى ما لا يشرى ويبيع ما لا يباع . قال (ابليس) : نعم يا سيدى وكذلك هو ، ولكن خوف العار يطرد حب المال . قال : فأنت إذن لا تقبل . قال : ولا أرفض ... قال الشاب : قاتلك الله لقد فهمت سأشتريها منك بثمنين أحدهما لك والآخر لها، ولكن أخبرنى كيف تصنع معها ومن أين تبلغ إليها؟

قال (ابليس) : لما كنت فى السجن عرفت لصاً فاتكاً أعيا قومه خبثاً وشراً ، وهذا السجن يحسبه الناس عقاباً وردعاً ومنهاة عن الإثم على أنه المدرسة التى تنشئها الحكومة بنفسها لتلقى علوم الجريمة عن كبار أساتذتها، إذ لا يمكن أن يجتمع كبارهم فى مكان من الأرض إلا فيه . فالسجن طريقة من طرق حل المشكلة الإنسانية ولكنه هو نفسه يحدث للانسانية مشكلة لا تحل . قال الفتى : ويحك ! أين يذهب بك ؟ إنما أرسلك إلى المرأة لا إلى السجن. قال: نعم ترسلنى أنت إليها ولكن لا يعلم إلا الله أين يرسلنى ابن عمها ، إلى السجن أم إلى المستشفى ... فاسمع يا سيدى، كان من نصائح أستاذى فى ذلك السجن أن الحيلة على رجل ينبغى لإحكامها أن يكون فى بعض أسبابها امرأة ، والكيد لامرأة يجب أن يكون فى بعض وسائله رجل ... صه . انظر ! انظر ! فالتفت الشاب فإذا (الجمل) مقبل يتكفأ فى مشيته ، وكان غليظاً ، فإذا خطا شدّ على الأرض بقدميه ، وتكدس بعضه فى بعض ، وكان منطلقاً وقتئذ إلى بعض مذاهبه ، فلما حاذاهما قال : السلام عليكم . فردا جميعاً ؛ ورمى ابنَ العمدة بنظرة ثم مضى لوجهه . فلم يجاوز غير بعيد حتى بلغه صوت الشاب يناديه : يا فلان ! فانكفأ إليه ؛ فقال له الشاب : لقد بعُد عهدك بالقوة على ما أرى . قال : فما ذاك ؟ قال : أما بلغك أن فلاناً فى هذه القرية التى تجاورنا ، سيقترن بزوجته بعد أيام . وأنت تعرف الموقعة التى كانت بين بلدنا وتلك البلدة يوم عرس فلان فى السنة الماضية ، وكيف اندفعوا على أهل بلدنا وحطموا فيهم تلك الحطمة الشديدة ، ولولا أنت أدركتهم ورميتهم بنفسك حتى دفعتهم عن الناس وسقتهم أمامك سوق النعاج ، لكانت بلدنا اليوم أذل البلاد، ولاستطالوا علينا بأنهم غلبونا. ولقد حدثنى صاحبى هذا كيف تلقيت بهراوتك يومئذ خمساً وعشرين هراوة فأطرتها كلها فى جولتك وهزمت أصحابها بعد أن أحاطوا بك وتكاثبوا عليك ؛ فأنت فخر بلدنا وصاحب زعامتها ، وما أرى لك إلا أن تنتهز هذه الفرصة وتسرع الوثبة إليهم برجالك ، فتجزيهم فى أرضهم صنيعاً بصنيع مثله

فهز الجمل كتفيه العريضتين وقال : بل سأنتظرهم فى يوم عرسى بابنة عمى ... قال الشاب: أبلغت؟ ما أرى فإنك لتخافهم ! قال: لا أخافهم ولكن أخاف الحكومة أن تؤخر يوم زواجى ... سنة أو سنتين . قال الفتى : فإن حملك هذا لا يشد من نفوس

(١) معدة لخطبته ، أو كما يقولون : قرئت مع أهلها الفاتحة

(٢) جاسوساً وصاحب سر

رجالنا، ولا بد أن أولئك سينتظرونكم ويعدون لكم؛ فإذا لم تناجزوهم في بلادهم عدوها عليكم هزيمة من الهزائم وكأنهم ضربوكم بلا ضرب

قال الجمل: هم لا يعرفون معنى الضرب بلا ضرب لأنهم رجال، والذي يضرب بلا ضرب لا يكون رجلاً ... والسلام عليكم... ثم انطلق. فلما أبعد قال الشاب: لقد بدأت الحرب ولا بد لي أن أحطم هذا الفلاح اللعين، ولقد عرفت الآن من وجهه أن عينه عليّ، ولست أشك في أن بنت عمه لا تمتنع بقوتها بل بقوته، ولولا معرفتي أنه من انحطاط الغريزة كالوحش في الدفاع عن أنثاه لـ...

قال (إبليس): لقد تأملت القصة فرأيت أنه لا سبيل لك إلى الفتاة وهي بعد فتاة؛ فإذا هو وصل إلى امرأته قطعت أنت بهذه الخطوة نصف الطريق إليها... وستبلو هي من غلظته وخشونة طبعه ما يسهل لك أن تعلمها قيمة ظرفك ورقتك؛ وستجد من سوء معاملته وقبح تسلطه ما يفتح قلبها لمن يأتيها من قِبل الرفق واللين؛ وستصيب عنده من ضيق المعيشة وقلتها وبيسها ما يُفهمها معنى ذلك العيش الحلو الخضر الذي تعرضه عليها؛ ثم إنه لا بد مبتليها بغيرته العمياء بعد ما عرف من حبك إياها، والغيرة منك هي توجد بينهما داعياً وتنبه المرأة إليك كلما كرهت من رجلها شيئاً لا ترضاه

ولم تكن إلا مدة يسيرة، حتى أهديت المرأة إلى زوجها، وإنما تعجل الزفاف ليأتي له أن ينصب يده القوية حجاباً بينها وبين هذا المفتون، وليكتسب من القانون حقاً لم يكن له من قبل إذا هو مد هذه اليد وعصر في قبضتها تلك الرقبة التي تتطلع إلى امرأته،

ورأى الشاب أن هذه الحال لا تعتدل به ويخصمه معاً، وكانت الغيرة تأكل من قلبه أكلا، وكان يعرض للمرأة كلما خرجت بمكتلها [1] إلى السوق، أو بجرتها إلى الماء، لأنه حينئذ يكون في الطريق الذي لا يملكه أحد ... فكانت إذا رأته لم تزد على ما يكون منها، إذا هي أبصرت حماراً يمد عينه إليها. فعمد إلى امرأة مغنية تزف العرائس، وهي التي زفت (خضراء)، فأكرمها وأتحفها وسألها أن تسعفه ببعض ما تحتال به، وأن تكون سبيله إلى المرأة؛ وتحمّل عليها (بإبليسه) حتى استوثق منها، فكانت تتحدث عنه أمام (خضراء)، تستجرّ بذلك أن تلفتها إلى نعمته وجماله، ولكن المرأة أغلظت لها وسبّتها وحذرتها أن تعود إلى مثل كلامها، وقالت لها آخر ما قالت: واعلمي أنني لو دُفعت إلى طريقين، وكان لا بد من أحدهما، ثم كان أحدهما حصاه الدنانير وهو طريق العار، والآخر حصباؤه الجمر، ويفضي إلى الشرف، إذن لتنزهت أن أدنس نعلي بالذهب ولنثرت لحم قدمي على الجمر نثراً

وأما الحب فلا يبقى حباً أبداً، فإما فاز فبرد ورجع سلواً، وإما خاب فاضطرم وتحول إلى حقد ونقمة؛ وكذلك انفجر الشاب غيظاً، ووجد على الخيبة موجدة شديدة، وأخذ يدبر رأيه، ففتقت له الحيلة أن يقتل الرجل الشهم بشهامته، والمرأة العفيفة بعفتها، فواطأ إبليسه على أن يدفع إلى تلك المغنية منديلاً من الحرير — عقد طرفه على دينار من الذهب — تلقيه في صندوق «خضراء»، وتدسه في طي من أطواء ثيابها، فذهبت المرأة وما زالت «بخضراء» تستصلحها وتعتذر إليها حتى استلت ضغينة قلبها، ثم سألتها أن تأتيها (بالعيش والملح) لتصيب كلتاهما منه وتتحرم بحرمته، فلما نهضت تأتيها أسرعت الخبيثة إلى الصندوق فدست المنديل في أبعد مواضعه وأخفاها، وكان مندّى بالعطر لينم على نفسه إذا لم ينم أحد عليه؛ ثم رجعت بما فعلت إلى الشاب فأطلق خادمه يهمس لبعض أصدقاء الجمل أنه رأى اليوم في يد (خضراء) ديناراً ذهباً على ندرة الذهب وعزته، فجعل هذا الدينار يطير من نفس إلى نفس بقوة الذهب الذي فيه والحب الذي أعطاه والجمال الذي أخذه، ثم انتهى إلى الجمل، فكأنما حمله وطار به إلى داره كالمجنون، وقد حمي دمه الحر وجاش جأشه المنيف، ولم تكن امرأته في الدار، فنثر ما في الصندوق وما كادت تفغمه رائحة العطر حتى نفخ الشيطان به نفخة الغضب الكافر، ثم عثر على المنديل ورأى بصيص الدينار فدارت به الأرض وأيقن أن العار قد طرق بابه وأن الباب قد فتح له؛ ثم رد نفسه على مكروهها ورد معها كل شيء إلى موضعه، وتلفف رأيه على جريمتين، وخرج وروحه تصرخ من ضربة بمنديل وهو الذي كانت تتهاوى عليه الضربات القاتلة تهشم منه ولا يتأوه

وذكر أن (حمانه) أثنت من عهد قريب على ابن العمدة ووصفته بالرقة والغنى، فوجه إليها أن تأتي فتبيت عند امرأته لأنه على سفر، وكان كالأعمى في ضلالته لا يرى الأشياء إلا كما يتخيلها في نفسه دون ما هي في نفسها، فسألته زوجته: أين أزمعت وما تبغي من سفرك وكم تلبث عنا؟ فكأنه سمعها تقول: إرحل إلى مكان بعيد

---

(١) هو ما يسمى القلق

وغب عنا زمناً طويلاً فبنا إلى غيابك حاجة شديدة ، وكاد يبطش بها ولكنه كاتم صدره اللوعة وذكر اسم جهة بعيدة ومضى والانكسار يعرف فيه

* * *

فزع الناس بعد أيام في جوف الليل فإذا بيت الجمل يحترق من أرضه وسمائه، واقتحموه فإذا المرأة وأمها فحمتان ، وانطلقت أسرار الألسنة وقبض على الرجل في بلدة أخرى، وتولى ابن العمدة توجيه البينة عليه، وشهد الشهود على الدينار، وشهد الدينار على النار، وأنكر « الجمل » ولم يقصر في إقامة الحجة ، ودافع عن امرأته وبالغ في أمانتها وعفتها، وشهد أنه لا يعلم عليها من سوء وأنها أطهر النساء وأبرُّهن ، ثم كان الحكم أن قضى عليه بالموت شنقاً

فلما كان يوم إنفاذ الحكم سئل الرجل: هل من شيء تريده؟ فطلب دخينة (١) فقدمها له قيم السجن فأشعلها ونفخ من دخانها نفخة، ثم أخذ يتكلم وعمره يفنى مع الدخينة نفَساً في نفس، وعاد هـذا الدخان المتطاير كأنه سحاب يسبح فيه الوحي بين حدود الدنيا وحدود الآخرة . قال المسكين : لم أتعلم، ولو تعلمت ما وقفت هنا، ولكن ربما كنت خرجت نذلاً كبعض المتعلمين الذين يعيشون أشرافاً وفيهم أرواح القتلة واللصوص

لم أقر لأحد بجريمتي خشية أن تذكر كلمة العار مع اسمي ، وآثرت أن أموت بالشنق على أن أحيا ويموت اسمي بالعار

ولكني سأعترف الآن أمامكم، وأنتم الساعة على قبري فكونوا كالملائكة : لا يشهدون بما عرفوا إلا عند الله وحده

أعترف أني قتلت زوجتي وأمها، وقد تقولون إنه ليس من عمل الرجل أن يقتل امرأة فضلاً عن اثنتين . إنني رجل سأشنق ؛ أما النساء فلا يشنقن وإنما يُرسلن الرجال إلى المشنقة... لم أر أبي إذ تركني طفلاً ، ولكن يقال إنه كان رجلاً ، فأنا رجل وابن رجل ولم يذلني رجل قط ؛ ولكن لو خلق الله قوة مائة جبار في جسم رجل واحد لأذلته امرأة

إنه ليس من شيمة الرجل أن يقتل النساء؛ ولكن المرأة تذل الرجل ذلا يهوّن عليه قتل نفسه فكيف لا يهوّن عليه قتلها ؟

علموا المتعلمين ليصيروا في الشرف والأمانة والعفة كرجل جاهل مثلي ، لا يرى للحياة كلها قيمة إذا كان فيها معنى العار ، ويقدم عنقه للمشنقة حتى لا ينكس رأسه للذل

(١) وضعناها للسيجارة وهي أليق الألفاظ بها

أصلحوا القانون الذي يحكم بالموت شنقاً ويزهق الأرواح الكبيرة في حين تفلته الأرواح الصغيرة بحيلها الدنيئة

ومع ذلك سألقى الله وهو يعلم سريرتي إن كنت بريئاً أو مجرماً

قيم السجن : ستلقاه طاهراً

السجين : أرأيتم مني خلق سوء . . . ؟ أتعتقد علي ذنباً مدة سجني ؟

القيم : كلنا راضون عنك

السجين : هـذا مَثَل من أخلاقي والحمد لله على أن آخر كلمة أسمعها من إنسان على الأرض كلمة الرضا

... ...

أشهد أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله

* * *

نظرت ريشة من زغب العصفور إلى النجوم فحسبتها ريشاً متناثراً، فامتطت العاصفة وقالت: إلى السماء، ودارت بها العاصفة ما شاء الله أن تدور ثم رمت بهـا حيث وقعت لم تبال في موضع نفع أم ضير . فأقبلت الريشة تتسخط وتزعم أنها فوضى ثائرة لا حكمة في خلقها، وأن الرياح بعثرة في نظام العالم ... وكان إلى جانبها شجرة تهتز ولا تطير ... فلما وعت مقالتها أقبلت عليها فقالت : أيتها الريشة ! إن الرياح لا تكون بعثرة في نظام العالم إلا إذا كان العالم ريشاً كله .

مصطفى صادق الرافعي

الإفصاح

المعجم العربي الفذ ، وهو خلاصة وافية للمخصص وغيره من المعجمات ، يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ، ويسعفك باللفظ للمعنى المراد ، يعين العلماء على وضع المصطلحات العربية في العلوم المختلفة ، ولا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، ٨٠٠ صفحة تقريباً ، طبع دار الكتب ، أشرفت طبعته على النفاد ، ثمنه ٢٥ قرشاً يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى
المدرس بمدرسة الخديوي إسماعيل الثانوية

عبد الفتاح الصعيدي
رئيس التحرير بمجمع اللغة الملكي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ذكرى الرافعي

[بقية المنشور على صفحة ٨٠٤]

مثل الفهرست لابن النديم ، ووفيات الأعيان ، ونحوهما

وطريقته في التحصيل من هذه الكتب ، أن يقرأ الكتاب ما بين دفتيه ؛ ثم يكتب ملخصه بحيث يشمل من أسماء أهل الفنون الأدبية وامتياز كل منهم ، مثل الشعراء ، والخطباء ، والكتاب ، والرواة ؛ ثم أسماء الكتب ، وموضوعها ، وفنون العلم ، وممارضات العلماء بعضهم لبعض ؛ ثم الطرائف الأدبية التي تشير إلى معنى يتصل بشيء من موضوعه . وفي كتب التراجم من هذه الطرائف ما ليس في كتاب

وأستطيع أن أقول جازماً : إن الرافعي اعتمد على كتب التراجم في الجمع لكتابه « تاريخ آداب العرب » أكثر مما اعتمد على الكتب الخالصة للأدب ؛ وكان اتجاهه إلى ذلك سبباً في توفيقه إلى ما لم يوفق إليه غيره في موضوعه

ويذكرني اعتداده بكتب التراجم في هذا الشأن ، ما ذكرته في كتابي « حياة الرافعي » عن استمداده منها أكثر ما كان يكتب لقراء الرسالة من قصص لم ينسج على منوالها كاتب من قبله ولا من بعده ؛ فكان هذه الكتب كانت عوناً كبيراً له على ما أبدع في الأدب بنوعيه : الإنشائي والوصفي

***

لست أشك في أن طريقة الرافعي هذه كانت ذات فائدة كبيرة ، ولكنها كانت حقيقة بأن تكون أكثر جدوى وفائدة لو أن هذه الملخصات والفهارس التي صنعها ليستعين بها كانت على غير النظام الذي وضع ، ليمكن انتفاع غيره بها ؛ فلو أنه عنى بأن تكون تلك الفهارس كاملة وعامة ، لكان بذلك قد كمل نقصاً في تلك الكتب التي أخذ عنها وزادها فائدة ؛ ولكنه — رحمه الله — لم يكن له غاية من صنع هذه الفهارس إلا الاستعانة بها على الجمع لكتابه ، فبلغت به ما أراد ، ثم بطل عملها !

وقد يسأل سائل : كيف تهيأ للرافعي الزمن الذي قرأ فيه تلك الكتب التي أخذ عنها ولخصها ، ثم ألف منها كتابه ؟

وهو سؤال لا أجد جوابه ، على أنه مما يزيدني دهشة أن الرافعي قد بدأ يعد لكتابه تاريخ آداب العرب في سنة ١٩٠٩ وفرغ منه — بأجزائه الثلاثة — في سنة ١٩١١ ؛ فانظر ما عسى أن تتسع له سنتان من عمر فتى لم يتجاوز الثلاثين وهو أب وزوج وله عمل في الحكومة يشغل نصف نهاره ؟

وقد قال لي قائل مرة وقد جاء ذكر الجزء الأول من تاريخ آداب العرب : إنه كتاب يتحدث عن كل شيء إلا عن آداب العرب !

قلت : قد يكون ذلك رأيك ورأي طائفة معك ، ولكنه على كل حال كتابٌ يغني عن مائة كتاب ؛ واسأل معلّميك : من ألّف في تاريخ آداب العرب قبل الرافعي ؟

رحمه الله بما قدم لهذه الأمة وأجزلَ ثوابه

محمد سعيد العريان

M. Arab. 143

الشيطان ذو الأَجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشعر عن تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا . ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التي زارها بوذا مراراً كي ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ، ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن ، فآثار الهياكل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التي أهملوها لاتزال برهانا على ذلك .

ولا داعي للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائي بقساوة فان أهالي الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها في الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء ، وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيرا من تفشي هذا الوباء ، وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة عن سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التي لاتدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض .

ففي سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد « د هامابو » قد اجتاحت الحميات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على ما يؤكده الرواة في سيلان بدرجة أنهم عجزوا عن أن يزرعوا الأرز وقد نتج عن ذلك مجاعة طويلة المدى فنسبوا هذه البلية إلى خبث الشيطان ذي الجوائح وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد .

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير في سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كي يرى نهاية حكم الشيطان ذي الجوائح كما يقول الرواة . وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة . وفي بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائي قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من الكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوي ، والطريقة التي تصفها لجنة الملاريا في جمعية الأمم تلخص في تطبيق العلاج السريع بالكينا أي مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوي لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذي الأجنحة وتوصي على سبيل الوقاية بأخذ ٤٠٥ ملليجرام من الكينا يوميا طول مدة موسم الحميات .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين ﴾